جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بإيتاي البارود
المجلة العلمية

الظَّواهرُ الحِجاجِيَّةُ فِي الخُطبَةِ الفَدَكِيَّةِ

إعداد

د/ شهيدة مسعد مرعي

مدرس البلاغة والنقد – كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات القاهرة – جامعة الأزهر

(العدد السادس والثلاثون)
(الإصدار الثاني .. مايو)
(١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م)

علمية - محكمة - ربع سنوية
الترقيم الدولي: ISSN 2535-177X

الظَّواهرُ الحِجاجِيَّةُ فِي الخُطبَةُ الفَدَكِيَّةِ

شهيدة مسعد مرعي

قسم البلاغة والنقد، كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنات القاهرة، جامعة الأزهر، مصر.

البريد الإلكتروني: shahedahm480@azhar.edu.eg

الملخص:

للحجاج عند العرب غايات بينة، إذ ينبني على مقصد معين يرمي إلى تحقيقه إما بالحق وإما بالحق والباطل. ويستهدف تحقيقه منفعة أو منافع، إما خاصة أو عامة، وتُعدُّ الدّراساتُ الحِجاجيَّةُ مِن أبرزِ النَّظرياتِ الّتي تُعنَى بِتحليلِ النصوصِ الأدبيَةِ مِن مُنطلقاتٍ استدلاليَّةٍ تُبرزُ قيمَةَ الخِطابِ الإبداعيّ، وتُجلّي عَن مظاهرِ القُوَةِ والوَهَنِ فِيهِ، مِن خِلالِ عَددٍ مِن الاستراتِيجيَاتِ القَائمةِ عَلى بِلورةِ مِلامِحِ الدّلالةِ المَنشودةِ مِن الخِطابِ وَفقَ مِعاييرَ بُرهانيَّةٍ يَسعَى المُرسِلُ إلَى تَضمِينِهَا فِي خِطابِهِ عَبْرَ وَحداتِه اللغويَّةِ والبلاغيَّةِ والدلاليةِ، وَانطلاقًا مِن هذِه الغَايةِ عُنِيَتِ الدّراسةُ بِالكَشفِ عَن مُلابساتِ الخِطابِ السَّردي لِلخُطبةِ الفدَكِيَةِ للسَّيّدةِ فَاطمَةَ الزَّهراءِ من خلالِ ضوابطِ نظريةِ الحجاجِ؛ تبيانًا لغرضِ القِيلِ ومُناسبتِه، والغايةِ المرجوّةِ منها، على أن تجرى الدّراسةُ في ثلاثةِ مباحثَ، بالارتكازِ على النظريةِ الحِجاجيةِ، على نحوِ ما يلِي: المَبحثُ الأوّلُ: التّعريفُ بالخُطبةِ الفدكيةِ ودوافعِها. المَبحثُ الثَّاني: مظاهرُ الحِجاجِ البلاغيّ واللُّغويّ في الخُطبةِ الفدكيةِ. المبحثُ الثَّالثُ: الدّلالاتُ المُنبثقةُ عَن النّظمِ اللُّغويّ في الخُطبةِ الفدَكيةِ، وذلكَ بالاستئناسِ بعددٍ من المبَاحثِ الفرعيةِ المُنوّهِ بها في محالّها من البحثِ، تحتَ كلّ عتبةٍ أصيلةٍ من عتباتِ الدّراسةِ يأتي بيانُها في تَضاعيفِ المَباحثِ.

الكَلِمَاتُ المفتاحيَّةُ: الظَّواهرُ، الحِجاجُ، الإقناعُ، التَّقويم، التوجيه، مظاهرُ الاستدلالِ.

Argumentative Phenomena in the Fadakia Sermon

Shaheda Mossad Meriy
Department of Rhetoric and Criticism, Faculty of Islamic and Arabic Studies, Cairo Girls, Al-Azhar University, Egypt.
Email: shahedahm480@azhar.edu.eg

Abstract:
The pilgrims of the Arabs have clear goals, as it is based on a specific purpose that aims to achieve it either by truth or by truth and falsehood. It aims to achieve benefit or benefits, either private or public, and argumentative studies are among the most prominent theories concerned with analyzing literary texts from inferential grounds that highlight the value of creative discourse, and reveal the manifestations of strength and weakness in it. Through a number of strategies based on crystallizing the features of the desired significance of the discourse According to demonstrative criteria that the sender seeks to include in his speech through his linguistic, rhetorical and semantic units, and based on this purpose, the study was meant to reveal the circumstances of the situation, etc. The narration of the Fadak sermon of Fatimah al-Zahra through the controls of al-Hajjaj's theory; In order to clarify the purpose and appropriateness of the gossip, and its intended purpose, provided that the study is conducted in three sections, based on the argumentative theory, as follows: The first topic: the definition of the Fadak sermon and its motives. The second topic: the rhetorical and linguistic manifestations of the arguments in The Fadak sermon. The third topic: the connotations emanating from the linguistic systems in the Fadak sermon, by drawing on a number of sub-disciplines mentioned in the research, under each original threshold of the thresholds of the study, which is explained in the divisions of the investigations.

Keywords: Phenomena, Arguments, Persuasion, Evaluation, Guidance, Manifestations of inference.

مُقدمةٌ

إنَّ غلبةَ بلاغةِ القرآنِ وبلاغةِ سُنَّةِ النبيِّ – صلَّى الله عليه وسلَّم – باديةُ التّأثيرِ في كلامِ الصّحابةِ من الرّعيلِ الأوّلِ، ليسَ كظُهورِها في كلامِ آلِ بيتِ النبيِّ الأكرمِ؛ لشدّةِ قربِهم والتحامِهم بمصدرِ البلاغةِ ونبعِه الثريِّ، ولعلَّ أبرزَ ما يُمثّلُ تلك البلاغةَ ويظهرُ ما ألحقتْهُ بنُفوسِ مَن تأثّرَ ببلاغةِ المُصطفى –صلَّى الله عليه وسلَّم – تلك الخُطبةُ التي ألقتْها السيدةُ فاطمةُ الزّهراءُ (رضِيَ اللَّهُ عنها) ارتِجالًا من غيرِ سابقةِ تجهيزٍ أو إعدادٍ في المَسجدِ النبويِّ؛ متأثّرةً في ذلكَ بمقالةٍ أتَتْها عنهُ – سنعرِضُ لها في موضِعها – فعارضتْه بها على أعينِ النّاسِ.

وقد رصدَتْ لنا كُتبُ السيرِ جملةَ ما قيلَ في هَذِه الخُطبةِ، التي أُطلِقَ عليها الخُطبةُ الفدَكيّةَ، وإنَّ في هذهِ الخُطبةِ مِن مُقوّماتِ فهمِها على وجهِها الذي شكّلَ غايتَها، ما خصصتُ تلكَ الدّراسةَ لبيانِه، من خلالِ ضوابطِ نظريَّةِ الحجاجِ؛ تبيانًا لغرضِ القِيلِ ومُناسبتِه، والغايةِ المرجوّةِ منها، على أنْ تُجرى الدّراسةُ في ثلاثةِ مباحثَ، بالارتكازِ على النظريَّةِ الحِجاجيَّة، على نحوِ ما يلِي:

١– المَبحثُ الأوّلُ/ التّعريفُ بالخُطبةِ الفدكيَّةِ ودوافعُها.

٢– المَبحثُ الثَّاني/ مظاهرُ الحِجاجِ البلاغيِّ واللُّغويِّ في الخُطبةِ الفدكيَّةِ.

٣– المبحثُ الثَّالثُ/ الدّلالاتُ المُنبثقةُ عَن النّظمِ اللُّغويِّ في الخُطبةِ الفدَكيَّةِ.

وقد سبقتْ هذه المباحثَ المُقدّمةُ، وتَلَتْها الخاتمةُ التي رصدتُ فيها أهمَّ نتائجِ الدراسة.

(المَبحثُ الأوّلُ)
التّعريفُ بالخُطبةِ الفدكيَّةِ ودوافعُها

لَقيت الخطبةُ الفدكيَّةُ عنايةً كبيرةً مِن الدَّارسين في ميدانِ النقدِ، ويرجع السبب في ذلك لما تحتوي الخطبة – بشكل عام – من فنون الكلام الذي غايته إقناع السامعين واستمالتهم والتأثير فيهم بعرض الحجج والبراهين، وهذا ما توافر في الخطبة الفدكية المنسوبة للسيدة فاطمة الزهراء، من براعة الاستهلال ووفرة المحصول من مختلف أساليب البيان، والتنقل بين الإنشائية والخبرية، ووضوح المعاني من خلال قِصر الجمل، ثم كيفية عرض الموضوع الذي تدور حوله الخطبة وكيفية إقامة الحجة واستخدام أساليب الإقناع التي تتنوع بين جمل مقولة وسمات القائل، وقدرته على الإقناع.

وتدور هذه الخطبة حول محاولة السيدة فاطمة الزهراء استرداد أرضِ فَدَكَ التي حاجَّجهَا أبو بكرٍ فيهَا على أعينِ الناسِ، فردَّت عليهِ حُجّتَه في ذلك بهذه الخطبة، وأرضُ فدك: قريةٌ بالحجاز بينها وبين المدينة يومان، وقيل: ثلاثة، أفاءها الله على رسوله – صلّى الله عليه وسلّم – في سنة سبع صلحًا، وذلك أنَّ النبيَّ – صلّى الله عليه وسلّم – لمَّا نزل خيبر وفتح حصونها ولم يبقَ إلا ثلثٌ واشتدَّ بهم الحصار راسلوا رسولَ الله – صلّى الله عليه وسلّم – يسألونه أنْ يُنزلهم على الجلاء ففعل، وبلغ ذلك أهلَ فدك فأرسلوا إلى رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم – أن يُصالحهم على النصف من ثمارهم وأموالهم، فأجابهم إلى ذلك، فهي ممَّا لم يُوجف عليه بخيلٍ ولا ركابٍ، فكانت خالصةً لرسول الله – ﷺ – وفيها عينٌ فوّارةٌ ونخيل كثيرة، وهي التي قالت فاطمة – رضي الله عنها –: إنَّ رسول الله – صلَّى الله عليه وسلَّم – نحلنيها، فقال أبو بكر – رضي الله عنه –: أريد لذلك شهودًا، ولها قصة، ثم أدَّى اجتهادُ عمر بن الخطاب – رضي الله عنه –

بعده لَمَّا وَلِيَ الخلافة وفُتحت الفتوح واتسعت على المسلمين أنْ يردَّها إلى ورثة رسول الله – صلّى الله عليه وسلّم–.[١]

وإنَّ لهذه الخطبةِ من الوقعِ البارزِ في نفوسِ المسلمينِ الذين بلغَهم مِن شأنِها ما بلغَهم، فانبَرَى بعضُهم مدافعًا عنها مثبتًا لها، وآخرون نفيًا لها وتنكُّرًا لما جاءَ فيهَا، ومِن ثَمَّ نقِفُ على كثيرٍ من الدِّراساتِ التي أنعمتِ النظرَ فيهَا والأبحاثِ التي تناولتْها مِن غيرِ وجهٍ، بِمُناقشةِ ما جاءَ فيهَا وفقَ عددٍ من النظرياتِ والمناهجِ النقديَّةِ والتحليليَّةِ، وقد تسنَّى ليَ الوقوفُ على كثيرٍ من تلك الدِّراساتِ، وجاءت دراستي هذه رغبةً في وضعِ الحجرِ الدَّاعمِ لبناءِ هذه الدِّراساتِ؛ طلبًا لحلِّ مشكلاتِ هذه الخطبةِ، من خلالِ النظريَّةِ الحجاجيَّةِ، وقد تناولتُ الخطبةَ من اتِّجاهٍ لم يلتفت كثيرٌ ممّن نوَّهَ بمظاهرِ الإقناعيةِ في هذه الخطبةِ، وأوَّلُ ما أعوّلُ عليهِ هنا بيانُ ماهيةِ الخطبةِ بِإيرادِها تامَّةً من مصادرِها التي تَنفي عنها شبهةَ الكذب في نسبتِها للسيدةِ فاطمةَ الزهراءِ.

إنَّ لهذهِ الخطبةِ ثبتًا في كثيرٍ من المصادرِ العربيَّةِ الدينيَّةِ واللغويَّةِ القديمةِ والحديثةِ، تَزِيدُ علَى محاولةِ إثباتِها جميعًا في مثلِ هذا الميدانِ البحثيّ الضيّقِ، وسنقتصرُ منها على ما يروِي غلَّةَ الصَّادي، وفيما أوردَهُ صاحبُ (فاطمةُ الزهراءُ بهجةُ قلبِ المصطفى) بِما يُغني الباحثَ عن تتبُّعِه في بطونِ الكتبِ المُطوَّلةِ، ومِن ذلك[٢]: ما قاله "فِي كِتَابِهِ القَيِّمِ (بَلاغَات النِّسَاءِ)، ص١٢: (قال أبو الفضلِ: ذَكرتُ لأبي الحسينِ زيدِ بنِ عليّ بنِ الحسينِ بنِ عليٍّ بنِ أبي طالبٍ – صَلوَاتُ اللهِ عَليهِم .كلامَ فاطمةَ – عَليهَا السَّلامُ – عندَ منعِ أبي بكرٍ فَدَكَ إيَّاهَا،

(١) ياقوت الحموي: معجم البلدان ٢٣٩/٤– دار صادر، بيروت – الطبعة: الثانية، ١٩٩٥م، البَلَاذُري، فتوح البلدان: ٣٨– دار ومكتبة الهلال– بيروت – ١٩٨٨ م.

٢) أحمد الرحماني الهمداني، فاطمة الزهراء بهجة قلب المصطفى، ص ٣٧٥–٣٨٣، مؤسسة البدر للنشر والتوزيع، ط ١، ١٣٦٩هـ.

وَقلت لـهُ: إنّ هؤلاءِ يزعمونَ أنَّـهُ مَصنوعٌ وأنَّـهُ مِن كـلامِ أبـي العيناءِ، فقالَ لِـي: رَأيتُ مَشايخَ آلِ أبي طَالبٍ يَروُونَهُ عن آبائِهم ويُعلِّمونَهُ أبناءَهم، وقَد حدَّثنِيهِ أبي، عَن جدّي، يَبلغُ بهِ فاطمةَ على هذِهِ الحِكايةِ، وَرَواهُ مشايخُ الشِّيعةِ وتَدارسوه بينَهم قبلَ أن يُولَدَ جدُّ أبـي العيناءِ، وقَد حدّث بـهِ الحَسنُ بنُ علوانٍ عن عطيّةَ العوفيّ أنّه سَمِعَ عبدَ اللهِ بنَ الحسنِ يَذكرُهُ عن أبيه. ثُمَّ قَالَ أبو الحُسينِ: وكَيفَ يُذكَرُ هذا مِن كـلامِ فَاطمـةَ فَيُنكرونَـهُ وهم يَروُونَ مِن كـلامِ عَائشـةَ عندَ موتِ أبيها مَا هو أعجبُ من كَلامِ فَاطمةَ يتحقّقونَهُ لولا عداوتُهم لَنا أهلَ البيتِ![1]".

ثَانيًا: مَا رواهُ مِن كلامِ ابنِ أبـي الحديدِ صاحبِ شارحِ نهجِ البلاغةِ بِمثلِ حديثِه الأوَّلِ.

ثالثًا: إيرادُه لكـلامِ ابـنِ منظـورٍ صـاحبِ (لسـانِ العربِ)، الـذي قـالَ فيـهِ: "وَفِـي حَديثِ فَاطِمَـةَ رِضـوانُ اللهِ عَليهـا: إنَّـها خَرجَت فِـي لمّـةٍ مِن نِسـائِها تتوطَّأُ ذَيلَها إلَـى أبِـي بَكرٍ فَعَاتَبَتْه[2]"، وقدَ والَـى الحديثَ عن خطبـةِ السيدةِ الزهراءِ فـي هذا الفصلِ دواليكَ لِعددٍ من الأئمـةِ، منهُم: ابن الأثير صاحبِ كتابِ (النِّهايـةِ)، والمسعودي صَاحبِ كِتابِ مُروجِ الذَّهبِ وَمعادِن الجوهرِ[3]، والأستاذ توفيق أبو علم مِن كتابِه أهلِ البيتِ[4]، ورضا كحالة من كتابِه أعلامِ النساءِ[5].

---

١) المصدر السَّابق، ص٣٧٧.

٢) المصدر السَّابق، ص٣٧٨.

٣) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ٣١١/٢، تح/ يوسف البقاعي، دار صادر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٧٣.

٤) توفيق أبو علم، أهل البيت، ص١٥٧، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط٥، ١٩٨٩.

٥) عمر رضا كحالة، أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، ١١٦/٤، مُؤسَّسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٧.

ثـمَّ فـي مُتابعتِـه لِمصـادرِ إيـرادِ هـذه الخطبـةِ يُـوردُ كـلامَ الإربلـي الـذي نصُّه: "فَلنذكر خُطبةَ فَاطمةَ (عَليها السَّلامُ) فَإنّهَا مِن مَحاسِنِ الخُطَبِ وبَديعِها، عليها مَسحةٌ من نُورِ النبوّةِ، وفِيها عبقةٌ مِن أرجِ الرّسالةِ، وقَد أَورَدَها المُؤَالفُ والمُخالفُ، ونَقلتُها من كتابِ (السَّقِيفةِ) عَن عُمرَ بنِ شبّةَ، تَأليفِ أبي بكرٍ أحمدَ بنِ عبدِ العزيزِ الجوهري مِن نسخةٍ قَديمةٍ مقروءة على مُؤلّفها المَذكورِ، قَرأتُ عليهِ فِي رَبيعِ الآخرِ سنةَ اثنتَينِ وعشرينَ وثَلَاثمائةٍ، رَوَى عَن رجالِهِ من عِدَّةِ طُرقٍ: أنّ فَاطمةَ عَليهَا السَّلامُ لمّا بلغَهَا إجماعُ أبي بكرٍ عَلَى منعِها فَدَكًا لاثَت خِمارَها وَأقبلَت فِي لَمِيمَةٍ مِن حَفَدَتِها ... إلخ[1]".

وعَلى ذلك الاقتصارُ مما وردَ في صحةِ نسبةِ الخطبةِ الفاطميَّةِ الفدكيةِ للسيدةِ الزهراءِ عليها السلامُ، وبعدُ فإنَّ الموعدةَ معَ إيرادِ نصِّ الخطبةِ محلِّ الدّراسةِ؛ ليكونَ أظهرَ للحجَّةِ وأبْيَنَ للقصدِ إن شَاءَ الله.

١) علي بن عيسى الإربلي، كشف الغمة في معرفة الأئمة، ٤٧٩/١، المجمع العالمي لأهل البيت، ط١، ٢٠١٢.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

(نصُّ الخُطبةِ الفَدَكِيَّةِ لِبنتِ رسولِ الله الزَّهراءِ)

روى عبد الله بنُ الحسن – عليه السلام – بإسنادِه عن آبائه – عليهم السلامُ – أنَّه لَمّا أَجْمَعَ أبو بكر عَلى مَنْعِ فاطمةَ – عليها السلام – فَدَكَ، وبَلَغَها ذلك، لاثَتْ خِمارَها على رأسِها، واشْتَمَلَتْ بِجِلْبابِها، وأَقْبَلَتْ في لُمَةٍ مِنْ حَفَدتِها ونساءِ قَوْمِها، تَطأ ذُيُولَها، ما تَخْرِمُ مِشْيَتُها مِشْيَةَ رَسولِ الله – صلى الله عليه وآله – حَتّى دَخَلَتْ عَلى أَبي بَكْر وَهُو في حَشْدٍ مِنَ المهاجِرين والأَنصارِ وَغَيْرِهِمْ، فَنيطَتْ دونَها مُلاءَةٌ، فَجَلَسَتْ، ثُمَّ أَنَّتْ أَنَّةً أَجْهَشَ القومُ لها بِالْبُكاءِ. فَارْتَجَّ الْمَجلِسُ، ثُمَّ أَمْهَلَتْ هَنِيَّةً حَتَّى إذا سَكَنَ نَشيجُ القومِ، وهَدَأَتْ فَوْرَتُهُمْ، افْتَتَحَتِ الْكَلامَ بِحَمدِ اللهِ وَالثناءِ عليه والصلاةِ على رسولِ الله، فعادَ القومُ في بُكائِهِمْ، فَلَما أَمْسَكُوا عادَتْ فِي كلامِها، فَقَالَتْ عليها السلام:

الْحَمْدُ للهِ عَلى ما أَنْعَمَ، وَلَهُ الشُّكْرُ على ما أَلْهَمَ، وَالثَّناءُ بِما قَدَّمَ، مِنْ عُمومِ نِعَمٍ ابْتَدَاها، وَسُبُوغ آلاءٍ أَسْداها، وَتَمامِ مِنَنٍ وَالاهَا، جَمَّ عَنِ الإحْصاءِ عدَدُها، وَنأى عَنِ الْجَزاءِ أَمَدُها، وَتَفاوَتَ عَنِ الإدْراكِ أَبَدُها، وَنَدَبَهُمْ لاسْتِزادَتِها بالشُّكْرِ لاتِّصالِها، وَاسْتَحْمَدَ إِلَى الْخَلائقِ بِإجْزالِها، وَثَنّى بِالنَّدْبِ إلى أَمْثالِها.

وَأَشْهَدُ أَنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ، كَلِمَةٌ جَعَلَ الإخْلاصَ تَأْويلَها، وَضَمَّنَ الْقُلُوبَ مَوْصُولَها، وَأَنارَ في الْفِكَرِ مَعْقُولَها، الْمُمْتَنِعُ مِنَ الإبْصارِ رُؤْيتُهُ، وَمِنَ الأَلْسُنِ صِفَتُهُ، وَمِنَ الأَوْهامِ كَيْفِيَّتُهُ، ابْتَدَعَ الأَشْياءَ لا مِنْ شَيْءٍ كانَ قَبْلَها، وَأَنْشَأَها بِلا احْتِذاء أَمْثِلَةٍ امْتَثَلَها، كَوَّنَها بِقُدْرَتِهِ، وَذَرَأَها بِمَشِيَّتِهِ، مِنْ غَيْرِ حاجَةٍ مِنْهُ إلى تَكْوينِها، وَلا فائِدَةٍ لَهُ في تَصْويرِها إلاّ تَثْبيتًا لِحِكْمَتِهِ، وَتَنْبيهًا عَلى طاعَتِهِ، وَإظْهارًا لِقُدْرَتِهِ، وَتَعَبُّدًا لِبَرِيَّتِهِ، وإعزازًا لِدَعْوَتِهِ، ثُمَّ جَعَلَ الثَّوابَ على طاعَتِهِ، وَوَضَعَ العِقابَ عَلى مَعْصِيتِهِ، ذِيادَةً لِعِبادِهِ عَنْ نِقْمَتِهِ، وَحِياشَةً مِنْهُ إلى جَنَّتِهِ .

وَأَشْهَدُ أنّ أبي مُحَمَّدًا صلّى الله عليه وآله عبْدُهُ وَرَسُولُهُ، اخْتارَهُ وَانْتَجَبَهُ قَبْلَ أَنْ أَرْسَلَهُ، وَسَمّاهُ قَبْلَ أنِ اجْتَبَلَهُ، وَاصْطفاهُ قَبْلَ أنِ ابْتَعَثَهُ، إذِ الْخَلائِقُ بالغَيْبِ مَكْنُونَةٌ، وَبِسِتْرِ الأَهاويل مَصُونَةٌ، وَبِنِهايَةِ الْعَدَمِ مَقْرُونَةٌ، عِلْمًا مِنَ اللهِ تَعالى بِمآيِلِ الأُمُور، وَإحاطَةً بِحَوادِثِ الدُّهُورِ، وَمَعْرِفَةً بِمَواقِعِ الْمَقْدُورِ. ابْتَعَثَهُ اللهُ – تعالى– إتْمامًا لأمْرِهِ، وَعَزيمَةً على إمْضاءِ حُكْمِهِ، وَإنْفاذًا لِمَقادِيرِ حَتْمِهِ.

فَرَأى الأُمَمَ فِرَقًا في أدْيانِها، عُكَّفًا على نيرانِها، عابِدَةً لأَوثانِها، مُنْكِرَةً لله مَعَ عِرْفانِها، فَأَنارَ اللهُ بِمُحَمَّدٍ – صلى الله عليه وآله – ظُلَمَها، وكَشَفَ عَنِ القُلُوبِ بُهَمَها، وَجَلّى عَنِ الأَبْصارِ غُمَمَها، وَقَامَ في النّاسِ بِالهِدايَةِ، وأنقَذَهُمْ مِنَ الغَوايَةِ، وَبَصَّرَهُمْ مِنَ العَمايَةِ، وهَداهُمْ إلى الدّينِ القَويمِ، وَدَعاهُمْ إلى الطَّرِيقِ المُستَقيمِ.

ثُمَّ قَبَضَهُ اللهُ – تعالى– إليْهِ قَبْضَ رَأْفَةٍ وَاخْتِيارٍ، ورَغْبَةٍ وَإيثارٍ بِمُحَمَّدٍ – صلى الله عليه وآله – عَنْ تَعَبِ هذِهِ الدّارِ في راحةٍ، قَدْ حُفَّ بالمَلائِكَةِ الأبْرارِ، وَرِضْوانِ الرَّبِّ الغَفارِ، ومُجاوَرَةِ المَلِكِ الجَبّارِ. صلى الله على أبي نبيّهِ، وأَمينِهِ عَلى الوَحْيِ وَصَفِيِّهِ، وَخِيَرَتِهِ مِنَ الخَلْقِ وَرَضِيِّهِ، والسَّلامُ عَلَيْهِ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ.

ثُمَّ التفتت إلى أهل المجلس وقالت: أَنْتُمْ عِبادَ اللهِ نُصْبُ أمْرِهِ وَنَهْيِهِ وَحَمَلَةُ دينِهِ وَوَحْيِهِ، وأُمَناءُ اللهِ عَلى أنْفُسِكُمْ، وَبُلَغاؤُهُ إلى الأُمَمِ، وَزَعَمْتُمْ حَقٌّ لَكُمْ للهِ فِيكُمْ، عَهْدٌ قَدَّمَهُ إلَيْكُمْ، وَبَقِيَّةٌ استَخْلَفَها عَلَيْكُمْ، كِتابُ اللهِ النّاطِقُ، والقُرْآنُ الصّادِقُ، وَالنُّورُ السّاطِعُ، وَالضِّياءُ اللاّمِعُ، بَيِّنَةٌ بَصائِرُهُ، مُنْكَشِفَةٌ سَرائِرُهُ، مُتَجَلِّيَةٌ ظَواهِرُهُ، مُغْتَبِطَةٌ بِهِ أَشْياعُهُ، قائِدٌ إلى الرِّضْوانِ اتّباعُهُ، مُؤَدٍّ إلى النَّجاةِ إسْماعُهُ، بِهِ تُنالُ حُجَجُ اللهِ المُنَوَّرَةُ، وَعَزائِمُهُ المُفَسَّرَةُ، وَمَحارِمُهُ المُحَذَّرَةُ، وَبَيِّناتُهُ الجالِيَةُ، وَبَراهِينُهُ الكافِيَةُ، وَفَضائِلُهُ المَنْدوبَةُ، وَرُخَصُهُ المَوْهُوبَةُ، وَشَرائِعُهُ المَكْتُوبَةُ.

فَجَعَلَ اللهُ الإيمانَ تَطْهيرًا لَكُمْ مِنَ الشِّرْكِ، وَالصَّلاةَ تَنْزِيهًا لَكُمْ عَنِ الكِبْرِ، والزَّكاةَ تَزْكِيَةً لِلنَّفْسِ وَنَماءً في الرِّزْقِ، والصِّيامَ تَثْبيتًا للإِخْلاصِ، والحَجَّ تَشْييدًا

لِلدّينِ، وَالعَدْلَ تَنْسيقًا لِلْقُلوبِ، وَطاعَتَنا نِظامًا لِلْمِلَّةِ، وَإمامَتَنا أمانًا مِنَ الْفُرْقَةِ، وَالْجِهادَ عِزًّا لِلإِسْلامِ، وَالصَّبْرَ مَعُونَةً عَلَى اسْتِيجابِ الأجْرِ، وَالأمْرَ بِالْمَعْرُوفِ مَصْلَحَةً لِلْعامَّةِ، وَبِرَّ الْوالِدَيْنِ وِقايَةً مِنَ السَّخَطِ، وَصِلَةَ الأَرْحامِ مَنْماةً لِلْعَدَدِ، وَالْقِصاصَ حِصْنًا لِلدِّماءِ، وَالْوَفاءَ بِالنَّذْرِ تَعْرِيضًا لِلْمَغْفِرَةِ، وَتَوْفِيَةَ الْمَكاييلِ وَالْمَوَازِينِ تَغْييرًا لِلْبَخْسِ، وَالنَّهْيَ عَنْ شُرْبِ الْخَمْرِ تَنْزِيهًا عَنِ الرِّجْسِ، وَاجْتِنابَ الْقَذْفِ حِجابًا عَنِ اللَّعْنَةِ، وَتَرْكَ السِّرْقَةِ إيجابًا لِلْعِفَّةِ، وَحَرَّمَ اللهُ الشِّرْكَ إخلاصًا لَهُ بالرُّبُوبِيَّةِ، فـ "اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ" [آل عمران: ١٠٢] وَأطيعُوا اللهَ فيما أمَرَكُمْ بِهِ وَنَهاكُمْ عَنْهُ، فَإنَّه "إنَّما يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبادِهِ العُلَماءُ" [فاطر: ٢٨].

ثُمَّ قالت: أيُّها النّاسُ! اعْلَمُوا أنِّي فاطِمَةُ، وَأبي مُحمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، أَقُولُ عَوْدًا وَبَدْءًا، وَلا أقُولُ ما أقُولُ غَلَطًا، وَلا أفْعَلُ ما أفْعَلُ شَطَطًا: "لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ ما عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤوفٌ رَحِيمٌ" [التوبة: ١٢٨] فَإنْ تَعْزُوه وَتَعْرِفُوهُ تَجِدُوهُ أبي دُونَ نِسائِكُمْ، وَأخا ابْنِ عَمِّي دُونَ رِجالِكُمْ، ولَنِعْمَ الْمَعْزِيُّ إلَيْهِ – صَلى الله عليه وآله –. فَبَلَّغَ الرِّسالَةَ صادِعًا بِالنِّذارَةِ، مائِلًا عَنْ مَدْرَجَةِ الْمُشْرِكِينَ، ضارِبًا ثَبَجَهُمْ، آخِذًا بِأكْظامِهِمْ، داعِيًا إلى سَبيلِ رَبِّهِ بِالحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنةِ، يَكْسِرُ الأَصْنامَ، وَيَنْكُتُ الْهامَ، حَتَّى انْهَزَمَ الْجَمْعُ وَوَلَّوْا الدُّبُرَ، حَتّى تَفَرَّى اللَّيْلُ عَنْ صُبْحِهِ، وَأسْفَرَ الحَقُّ عَنْ مَحْضِهِ، وَنَطَقَ زَعِيمُ الدّينِ، وَخَرِسَتْ شَقاشِقُ الشَّياطينِ، وَطاحَ وَشيظُ النِّفاقِ، وَانْحَلَّتْ عُقَدُ الْكُفْرِ وَالشِّقاقِ، وَفُهْتُمْ بِكَلِمَةِ الإخْلاصِ فِي نَفَرٍ مِنَ الْبيضِ الْخِماصِ، وَكُنْتُمْ عَلى شَفا حُفْرَةٍ مِنَ النّارِ، مذْقَةَ الشّارِبِ، وَنُهْزَةَ الطّامِعِ، وَقبْسَةَ الْعَجْلانِ، وَمَوْطِئَ الأقْدامِ، تَشْرَبُونَ الطَّرْقَ، وَتَقْتاتُونَ الْوَرَقَ، أذِلَّةً خاسِئِينَ، "تَخافُونَ أنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ" [الأنفال:٢٦] مِنْ حَوْلِكُمْ، فَأنْقَذَكُمُ اللهُ تَبارَكَ وَتَعالى بِمُحَمَّدٍ – صَلى الله عليه وآله – بَعْدَ اللّتَيّا وَالَّتِي، وَبَعْدَ أنْ مُنِيَ بِبُهَمِ الرِّجالِ وَذُؤْبانِ الْعَرَبِ وَمَرَدَةِ أهْلِ الْكِتابِ، "كُلَّما أوْقَدُوا نارًا لِلْحَرْبِ أطْفَأها اللهُ" [المائدة: ٦٤]، أوْ نَجَمَ قَرْنٌ

لِلشَّيْطانِ، وَفَغَرَتْ فَاغِرَةٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَذَفَ أخاهُ في لَهَواتِها، فَلا يَنْكَفِئُ حَتَّى يَطَأَ صِماخَها بِأَخْمَصِهِ، ويُخْمِدَ لَهَبَهَا بِسَيْفِهِ، مَكْدُودًا في ذاتِ اللهِ، مُجْتَهِدًا في أمْرِ اللهِ، قَرِيبًا مِنْ رَسُولِ اللهِ – صَلى الله عليه وآله – سَيِّدَ أوْلياءِ اللهِ، مُشَمِّرًا ناصِحًا، مُجِدًّا كادِحًا . وأَنْتُمْ فِي رَفاهِيَةٍ مِنَ الْعَيْشِ، وَادِعُونَ فاكِهُونَ آمِنُونَ، تَتَرَبَّصُونَ بِنا الدَّوائِرَ، وتَتَوَكَّفُونَ الأَخْبارَ، وَتَنْكُصُونَ عِنْدَ النِّزالِ، وَتَفِرُّونَ عِنْدَ القِتالِ.

فَلَمَّا اخْتارَ اللهُ لِنَبِيِّهِ دارَ أنْبِيائِهِ وَمَأْوى أصْفِيائِهِ، ظَهَرَ فيكُمْ حَسيكَةُ النِّفاقِ وَسَمَلَ جِلْبابُ الدّينِ، وَنَطَقَ كاظِمُ الْغاوِينِ، وَنَبَغَ خامِلُ الأَقَلّينَ، وَهَدَرَ فَنيقُ الْمُبْطِلِين.

فَخَطَرَ فِي عَرَصاتِكُمْ، وَأَطْلَعَ الشيْطانُ رَأْسَهُ مِنْ مَغْرِزِهِ، هاتفًا بِكُمْ، فَأَلْفاكُمْ لِدَعْوَتِهِ مُسْتَجيبينَ، وَلِلْغِرَّةِ فِيهِ مُلاحِظِينَ، ثُمَّ اسْتَنْهَضَكُمْ فَوَجَدَكُمْ خِفافًا، وَأَحْمَشَكُمْ فَأَلْفاكُمْ غِضابًا، فَوَسَمْتُمْ غَيْرَ إبِلِكُمْ، وَأَوْرَدْتُمْ غَيْرَ شِرْبِكُمْ، هذا وَالْعَهْدُ قَريبٌ، وَالْكَلْمُ رَحِيبٌ، وَالْجُرْحُ لَمّا يَنْدَمِلْ، وَالرَّسُولُ لَمّا يُقْبَرْ، ابْتِدارًا زَعَمْتُمْ خَوْفَ الْفِتْنَةِ، "أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطةٌ بِالْكافِرِينَ" [التوبة: ٤٩].

فَهَيْهاتَ مِنْكُمْ، وَكَيْفَ بِكُمْ، وَأَنّى تُؤْفَكُونَ؟ وَكِتابُ اللهِ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ، أُمُورُهُ ظاهِرَةٌ، وَأَحْكامُهُ زاهِرَةٌ، وَأَعْلامُهُ باهِرَةٌ، وَزَواجِرُهُ لائِحَةٌ، وَأَوامِرُهُ واضِحَةٌ، قَدْ خَلَّفْتُمُوهُ وَراءَ ظُهُورِكُمْ، أرغبةً عَنْهُ تُرِيدُونَ، أمْ بِغَيْرِهِ تَحْكُمُونَ، "بِئْسَ لِلظّالِمِينَ بَدَلاً" [الكهف:٥٠]، "وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإسْلامِ دينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخاسِرِينَ" [آل عمران: ٨٥]، ثُمَّ لَمْ تَلْبَثُوا إلاّ رَيْثَ أنْ تَسْكُنَ نَفْرَتُها، وَيَسْلَسَ قِيادُها، ثُمَّ أَخذْتُمْ تُورُونَ وَقْدَتَها، وَتُهَيِّجُونَ جَمْرَتَها، وَتَسْتَجِيبُونَ لِهِتافِ الشَّيْطانِ الْغَوِيِّ، وَإِطْفاءِ أنْوارِ الدِّينِ الْجَلِيِّ، وَإِهْمادِ سُنَنِ النَّبِيِّ الصَّفِيِّ، تُسِرُّونَ حَسْوًا فِي ارْتِغاءٍ، وَتَمْشُونَ لأَهْلِهِ وَوَلَدِهِ فِي الْخَمَرِ وَالْضَّراءِ، وَنَصْبِرُ مِنْكُمْ عَلى مِثْلِ حَزِّ الْمُدى، وَوَخْزِ السِّنانِ فِي الحَشا، وَأَنْتُمْ تزْعُمُونَ ألاّ إرْثَ لَنا، "أَفَحُكْمَ الْجاهِلِيَّةِ

تَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ" [المائدة: ٥٠] أفَلا تَعْلَمُونَ؟ بَلى تَجَلّى لَكُمْ كَالشَّمْسِ الضّاحِيَةِ أَنّي ابْنَتُهُ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمونَ، أَأُغْلَبُ عَلى إِرْثِيَهْ يَا ابْنَ أبي قُحافَةَ! أفي كِتابِ اللهِ أنْ تَرِثَ أباكَ، ولا أرِثَ أبي؟ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا فَرِيًّا، أَفَعَلى عَمْدٍ تَرَكْتُمْ كِتابَ اللهِ، وَنَبَذْتُمُوهُ وَراءَ ظُهُورِكُمْ إِذْ يَقُولُ: {وَوَرِثَ سُلَيْمانُ داوُدَ" [النمل: ١٦]، وَقالَ فيمَا اخْتَصَّ مِنْ خَبَرِ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيّا عليهما السلام إِذْ قالَ: رَبِّ "هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ" [مريم: ٥–٦] وَقَالَ: "وَأُولُوا الأَرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلى بِبَعْضٍ فِي كِتابِ اللهِ" [الأنفال: ٧٥] وَقالَ: "يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ" [النساء: ١١]} وقال: "إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوالِدَيْنِ والْأَقْرَبِينَ بِالْمعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ" [البقرة: ١٨٠]. وزَعَمْتُمْ أَلَّا حِظوَةَ لِي، وَلا إِرْثَ مِنْ أبي ولا رَحِمَ بَيْنَنَا!

أَفَخَصَّكُمُ اللهُ بِآيَةٍ أَخْرَجَ مِنْها أَبِي؟ أَمْ هَلْ تَقُولونَ: أَهْلُ مِلَّتَيْنِ لا يَتَوارَثَانِ، أَوَ لَسْتُ أَنَا وَأَبِي مِنْ أَهْلِ مِلَّةٍ واحِدَةٍ؟! أَمْ أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِخُصُوصِ الْقُرْآنِ وَعُمُومِهِ مِنْ أَبِي وَابْنِ عَمّي؟ فَدُونَكَها مَخْطُومَةً مَرْحُولَةً، تَلْقاكَ يَوْمَ حَشْرِكَ، فَنِعْمَ الْحَكَمُ اللهُ، وَالزَّعِيمُ مُحَمَّدٌ، وَالْمَوْعِدُ الْقِيامَةُ، وَعِنْدَ السّاعَةِ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ، وَلا يَنْفَعُكُمْ إِذْ تَنْدَمُونَ، "وَلِكُلِّ نَبَأٍ مُسْتَقَرٌّ"، [الأنعام: ٦٧]، وَ"سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذابٌ مُقِيمٌ" [هود: ٣٩]

ثُمَّ رَمَتْ بِطَرْفِها نَحْوَ الْأَنْصارِ فَقالَتْ: يا مَعاشِرَ الْفِتْيَةِ، وَأَعْضادَ الْمِلَّةِ، وَأَنْصارَ الْإِسْلامِ! ما هذِهِ الْغَمِيزَةُ فِي حَقِّي؟ وَالسِّنَةُ عَنْ ظُلامَتِي؟ أما كانَ رَسُولُ اللهِ – صَلى الله عليه وآله – أَبِي يَقُولُ: "الْمَرْءُ يُحْفَظُ فِي وُلْدِهِ"؟ سَرْعانَ ما أَحْدَثْتُمْ، وَعَجْلانَ ذا إِهالَةً، وَلَكُمْ طاقَةٌ بِما أُحاوِلُ، وَقُوَّةٌ عَلى ما أَطْلُبُ وَأُزاوِلُ!

أَتَقُولُونَ ماتَ مُحَمَّدٌ – صَلى الله عليه وآله– ؟! فَخَطْبٌ جَلِيلٌ اسْتَوْسَعَ وَهْيُهُ، وَاسْتَنْهَرَ فَتْقُهُ، وَانْفَتَقَ رَتْقُهُ، وَأَظْلَمَتِ الْأَرْضُ لِغَيْبَتِهِ، وَكُسِفَتِ النُّجُومُ لِمُصِيبَتِهِ، وَأَكْدَتِ الْآمالُ، وَخَشَعَتِ الْجِبالُ، وَأُضِيعَ الْحَرِيمُ، وَأُزِيلَتِ الْحُرْمَةُ عِنْدَ

مَماتِـهِ. فَتِلْـكَ وَاللهِ النّازلَـةُ الْكُبْرى، وَالْمُصـيبَةُ الْعُظْمـى، لا مِثْلُهـا نازِلَـةٌ وَلا بائِقَـةٌ عاجِلَةٌ أَعْلَنَ بِها كِتابُ اللهِ – جَلَّ ثَناؤُهُ – فِي أَفْنِيَتِكُمْ فِي مُمْساكُمْ وَمُصْبَحِكُمْ هِتافًا وَصُراخًا وَتِلاوَةً وَإِلحانًا، وَلَقَبْلَهُ ما حَلَّ بِأَنْبِياءِ اللهِ وَرُسُلِهِ، حُكْمٌ فَصْلٌ وَقَضاءٌ حَتْمٌ: "وَما مُحَمَّدٌ إلاّ رَسولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ ماتَ أَو قُتِلَ انقلَبْتُمْ على أَعْقابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللهُ الشّاكِرِينَ" [آل عمران: ١٤٤].

أَيْهَـا بَنِـي قَيْلَـةَ! أَأُهْضَـمُ تُـراثَ أَبِيَـهْ وَأَنْـتُمْ بِمَـرْأى مِنّـي وَمَسْـمَعٍ، ومُبْتَـدإٍ وَمَجْمَعٍ؟! تَلْبَسُكُمُ الدَّعْوَةُ، وتَشْمُلُكُمُ الْخَبْرَةُ، وَأَنْتُمْ ذَوُو الْعَدَدِ وَالْعُدَّةِ، وَالأَداةِ وَالْقُوَّةِ، وَعِنْدَكُمُ السِّلاحُ وَالْجُنَّةُ؛ تُوافيكُمُ الدَّعْوَةُ فَلا تُجِيبُونَ، وَتَأْتيكُمُ الصَّرْخَةُ فَلا تُغيثُونَ، وَأَنْتُمْ مَوْصُـوفُونَ بِالْكِفاحِ، مَعْرُوفُـونَ بِـالْخَيْرِ وَالصَّـلاحِ، وَالنُّجَبَـةُ الَّتـي انْتُجِبَـتْ، وَالْخِيَـرَةُ الَّتِـي اخْتيـرَتْ! قـاتَلْتُمُ الْعَـرَبَ، وَتَحَمَّلْـتُمُ الْكَـدَّ وَالتَّعَـبَ، وَنـاطَحْتُمُ الأُمَـمَ، وَكـافَحْتُمُ الْـبُهَمَ، فَـلا نَبْـرَحُ أو تَبْرَحُـونَ، نَـأْمُرُكُمْ فَتَـأْتَمِرُونَ حَتَّـى دارَتْ بِنـا رَحَـى الإِسْلامِ، وَدَرَّ حَلَبُ الأَيّامِ، وَخَضَـعَتْ نُعَرَةُ الشِّرْكِ، وَسَكَنَتْ فَوْرَةُ الإِفْكِ، وَخَمَدَتْ نيرانُ الْكُفْرِ، وهَدَأَتْ دَعْوَةُ الْهَرْجِ، وَاسْتَوْسَقَ نِظامُ الدِّينِ؛ فَأَنّى جُرْتُمْ بَعْدَ الْبَيانِ، وَأَسْرَرْتُمْ بَعْدَ الإِعْلانِ، وَنَكَصْتُمْ بَعْدَ الإِقْدامِ، وَأَشْرَكْتُمْ بَعْدَ الإِيمانِ؟ "أَلا تُقاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْراجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَؤُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ" [التوبة: ١٣].

أَلا قَـدْ أرى أَنْ قَـدْ أَخْلَـدْتُمْ إِلَـى الْخَفْـضِ، وَأَبْعَـدْتُمْ مَـنْ هُـوَ أَحَـقُّ بِالْبَسْـطِ وَالْقَبْضِ، وَخَلَوْتُمْ بِالدَّعَةِ، وَنَجَوْتُمْ مِنَ الضِّيقِ بِالسَّعَةِ، فَمَجَجْتُمْ ما وَعَيْتُمْ، وَدَسَعْتُمُ الَّـذِي تَسَـوَّغْتُمْ، فَـ"إِنْ تَكْفُرُوا أَنْـتُمْ وَمَـنْ فِـي الأَرْضِ جَمِيعًا فَـإِنَّ اللهَ لَغَنِـيٌّ حَمِيـدٌ" [إبراهيم: ٨]. أَلا وَقَدْ قُلْتُ ما قُلْتُ عَلى مَعْرِفَةٍ مِنّي بِالْخَذْلَةِ الَّتِي خامَرَتْكُمْ، وَالغَدْرَةِ التِي اسْتَشْعَرَتْها قُلُوبُكُمْ، وَلكِنَّها فَيْضَـةُ النَّفْسِ، وَنَفْثَـةُ الْغَيْظِ، وَخَـوَرُ الْقَنـا، وَبَثَّـةُ الصُّدُورِ، وَتَقْدِمَةُ الْحُجَّةِ.

فَـدُونَكُمُوها فَاحْتَقِبُوهـا دَبِـرَةَ الظَّهْـرِ، نَقِبَـةَ الْخُـفِّ، باقِيَـةَ الْعـارِ، مَوْسُـومَةً بِغَضَـبِ اللهِ وَشَـنارِ الْأَبَـدِ، مَوْصُـولَةً بِنـارِ اللهِ الْمُوقَـدَةِ الَّتِـي تَطَّلِـعُ عَلَـى الْأَفْئِـدَةِ. فَبعَيْنِ اللهِ ما تَفْعَلُونَ "وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ" [الشعراء: ٢٢٧]، وَأَنَـا ابْنَـةُ نَـذِيرٍ لَكُـمْ بَـيْنَ يَـدَيْ عَـذابٍ شَـدِيدٍ، فَـاعْمَلُوا إِنَّـا عـامِلُونَ وَانْتَظِـرُوا إِنَّـا مُنْتَظِرُونَ.

فَأَجابَها أَبُو بَكْرٍ (عَبْدُ اللهِ بْنُ عُثْمانَ)، فَقَالَ: يَا ابْنَـةَ رَسُولِ اللهِ، لَقَدْ كانَ أَبُوكِ بالمُؤْمِنِينَ عَطُوفًا كَرِيمًا، رَؤُوفًا رَحِيمًا، وَعَلَـى الْكافِرِينَ عَذابًا أَلِيمًا وَعِقابًا عَظِيمًا؛ فَـإِنْ عَزَوْنـاهُ وَجَدْناهُ أَبـاكِ دُونَ النِّسـاءِ، وَأَخًـا لِبَعْلِـكِ دُونَ الْأَخِـلاَّءِ، آثَـرَهُ عَلَى كُلِّ حَمِيمٍ، وَساعَدَهُ فِي كُلِّ أَمْرٍ جَسِيمٍ، لا يُحِبُّكُمْ إِلّا كُلُّ سَعِيدٍ، وَلا يُبْغِضُكُمْ إِلّا كُـلُّ شَـقِيٍّ؛ فَـأَنْتُمْ عِتْـرَةُ رَسُـولِ اللهِ – صَـلى الله عليـه وآلـه– الطَّيِّبُـونَ، وَالْخِيَـرَةُ الْمُنْتَجَبُونَ، عَلَى الْخَيْرِ أَدِلَّتُنا، وَإِلَى الْجَنَّـةِ مَسالِكُنا، وَأَنْتِ – يا خَيْرَةَ النِّسـاءِ وَابْنَـةَ خَيْرِ الْأَنْبِياءِ – صادِقَةٌ فِي قَوْلِكِ، سابِقَةٌ فِي وُفُورِ عَقْلِكِ، غَيْرُ مَرْدُودَةٍ عَنْ حَقِّكِ، وَلا مَصْـدُودَةٍ عَـنْ صِـدْقِكِ، وَوَاللهِ، مـا عَـدَوْتُ رَأْيَ رَسُـولِ اللهِ – صَـلى الله عليـه وآلـه– يَقُولُ: ((نَحْنُ مَعاشِـرَ الْأَنْبِياءِ لا نُـوَرِّثُ ذَهَبًـا وَلا فِضَّـةً وَلا دارًا وَلا عِقارًا، وَإِنَّما نُوَرِّثُ الْكُتُبَ وَالْحِكْمَـةَ، وَالْعِلْمَ وَالنُّبُوَّةَ، وَما كانَ لَنا مِنْ طُعْمَـةٍ فَلِوَلِيِّ الْأَمْرِ بَعْدَنا أَنْ يَحْكُمَ فِيـهِ بِحُكْمِـهِ)). وَقَدْ جَعَلْنا ما حاوَلْتِهِ فِي الكُراعِ وَالسِّـلاحِ يُقابِلُ بِـهِ الْمُسْـلِمُونَ، وَيُجاهِـدُونَ الْكُفّـارَ، وَيُجالِـدُونَ الْمَـرَدَةَ ثُـمَّ الْفُجّـارَ، وَذلِـكَ بِإِجْمـاعٍ مِـنَ الْمُسْـلِمِينَ لَـمْ أَنْفَـرِّدْ بِـهِ وَحْـدِي، وَلَـمْ أَسْـتَبِدَّ بِمـا كـانَ الرَّأْيُ فِيـهِ عِنْـدِي، وَهـذِهِ حـالي وَمالي هِيَ لَكِ وَبَيْنَ يَدَيْكِ، لا نزوي عَنْكِ وَلا نَدَّخِرُ دُونَكِ، وَأَنْتِ سَيِّدَةُ أُمَّـةِ أَبِيكِ، وَالشَّجَرَةُ الطَّيِّبَةُ لِبَنِيكِ، لا يُدْفَعُ ما لَكِ مِنْ فَضْلِكِ، وَلا يُوضَـعُ مِنْ فَرْعِكِ وَأَصْلِكِ؛ حُكْمُكِ نافِذٌ فِيمـا مَلَكَتْ يَداي، فَهَلْ تَرينَ أَنْ أُخـالِفَ فِـي ذلِكِ أَبـاكِ – صَـلى الله عليه وآله– ؟

فَقَالَـتْ عليهـا السـلام: سُـبْحانَ اللهِ! مـا كـانَ رَسُـولُ اللهِ – صَـلى الله عليـه وآله– عَنْ كِتابِ الله صادِفًا، وَلا لِأَحْكامِهِ مُخالِفًا، بَلْ كانَ يَتَّبِعُ أَثَرَهُ، وَيَقْفُو سُورَهُ،

أَفَتَجْمَعُونَ إلى الْغَدْرِ اغتِلالًا عَلَيْهِ بِالزُّورِ؛ وَهذا بَعْدَ وَفاتِهِ شَبِيهٌ بِما بُغِيَ لَهُ مِنَ الْغَوائِلِ فِي حَياتِهِ. هذا كِتابُ اللهِ حَكَمًا عَدْلاً، وَناطِقًا فَصْلاً، يَقُولُ: {يَرِثُني وَيَرِثُ مَنْ آلِ يَعْقوبَ}، {وَوَرِثَ سُلَيْمانُ داوُدَ} فَبَيَّنَ – عَزَّ وَجَلَّ – فيما وَزَّعَ عَلَيْهِ مِنَ الأَقْساطِ، وَشَرَّعَ مِنَ الفَرايِضِ وَالميراثِ، وَأَباحَ مِنْ حَظِّ الذُّكْرانِ وَالإِناثِ ما أَزاحَ عِلَّةَ المُبْطِلينَ، وأَزالَ التَّظَنّي وَالشُّبُهاتِ في الغابِرينَ، كَلاّ "بَلْ سَوَّلَتْ لَكُم أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَميلٌ وَاللهُ المُسْتَعانُ عَلى ما تَصِفُونَ" [يوسف: ١٨].

فَقالَ أَبو بَكْرٍ: صَدَقَ اللهُ وَرَسولُهُ، وَصَدَقَتِ ابْنَتُهُ؛ أَنْتِ مَعْدِنُ الحِكْمَةِ، وَمَوْطِنُ الهُدى وَالرَّحْمَةِ، وَرُكْنُ الدِّينِ وَعَيْنُ الحُجَّةِ، لا أُبْعِدُ صوابَكِ، وَلا أُنْكِرُ خِطابَكِ، هؤلاءِ المُسْلِمونَ بَيْنِيَ وبَيْنَكِ، قَلَّدوني ما تَقَلَّدْتُ، وَباتِّفاقٍ مِنْهُمْ أَخَذْتُ ما أَخَذْتُ، غَيْرَ مُكابِرٍ وَلا مُسْتَبِدٍّ وَلا مُسْتَأْثِرٍ، وَهُمْ بِذلِكَ شُهودٌ.

فَالتَفَتَتْ فاطِمَةُ – عَلَيْها السَّلام – وَقالَتْ: مَعاشِرَ النّاسِ المُسْرِعَةِ إلى قِيلِ الباطِلِ، المُغْضِيَةِ عَلى الفِعْلِ القَبيحِ الخاسِرِ "أَفَلا يَتَدَبَّرونَ القُرآنَ أَمْ عَلى قُلوبٍ أَقْفالُها" [محمد: ٢٤] كَلاّ بَلْ رانَ عَلى قُلوبِكُمْ ما أَسَأْتُمْ مِنْ أَعْمالِكُمْ، فَأَخَذَ بِسَمْعِكُمْ وَأَبْصارِكُمْ، وَلَبِئْسَ ما تَأَوَّلْتُمْ، وَساءَ ما أَشَرْتُمْ، وشَرَّ ما مِنْهُ اعتَضْتُمْ، لَتَجِدَنَّ وَاللهِ مَحْمِلَهُ ثَقيلاً، وَغِبَّهُ وَبيلًا إذا كُشِفَ لَكُمُ الغِطاءُ، وَبانَ ما وَراءَهُ الضَّراءُ، وَبَدا لَكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ما لَمْ تَكونوا تَحْتَسِبونَ، وَ "خَسِرَ هُنالِكَ المُبْطِلونَ" [غافر: ٧٨]

ثُمَّ عَطَفَتْ عَلى قَبْرِ النَّبِيِّ – صلّى اللهُ عَلَيْهِ وآلِه – وَقالَتْ:

قَدْ كانَ بَعْدَكَ أَنْباءٌ وَهَنْبَثَةٌ ... لَوْ كُنْتَ شاهِدَها لَمْ تَكْبُرِ الخَطْبُ

إِنّا فَقَدْناكَ فَقْدَ الأَرْضِ وابِلُها ... وَاخْتَلَّ قَوْمُكَ فَاشْهَدْهُمْ وَقَدْ نَكِبوا

وَكُلُّ أَهْلٍ لَهُ قُرْبى وَمَنْزِلَةٌ ... عِنْدَ الإِلهِ عَلَى الأَدْنَيْنِ مُقْتَرِبُ

أَبْدَتْ رِجالٌ لَنا نَجْوى صُدورِهِمِ ... لَمّا مَضَيْتَ وَحالَتْ دونَكَ التُّرَبُ

تَجَهَّمَتْنا رِجالٌ واسْتُخِفَّ بِنا ... لَمّا فُقِدْتَ وَكُلُّ الأَرْضِ مُغْتَصَبُ

وَكُنْتَ بَدْرًا وَنُورًا يُسْتَضاءُ بِهِ ... عَلَيْكَ تُنْزَلُ مِنْ ذي العِزَّةِ الكُتُبِ

وَكـانَ جِبْريـلُ بِالآيـاتِ يونِسُنـا فَقَـدْ فُقِـدْتَ فَكُـلُّ الخَيْـرِ مُحْتَجِـبٌ

فَلَيْـتَ قَبْلَـكَ كـانَ المَـوْتُ صادَفَنـا لِمـا مَضَـيْتَ وَحالَـتْ دونَـكَ الكُتُـبُ

إِنّـا رُزِئْنـا بِمـا لَـمْ يُـرْزَ ذُو شَجَـنٍ مِـنَ البَرِيَّـةِ لا عُجْـمٌ وَلا عَـرَبُ

ثُـمَّ انْكَفَـأَتْ – عليهـا السـلام – وأميـرُ المُـؤْمِنِينَ – عليـه السـلام – يَتَوَقَّـعُ رُجُوعَها إليْهِ، وَيَتَطَلَّعُ طُلُوعَها عَلَيْهِ، فَلَمَّا اسْتَقَرَّتْ بِها الدّارُ قالتْ لأميرِ المُؤمنينَ عليه السلام: يا ابْنَ أبِي طالِب! اشْتَمَلْتَ شِمْلَةَ الجَنِينِ، وَقَعَدْتَ حُجْرَةَ الظَّنِينِ! نَقَضْتَ قادِمَةَ الأَجْدَلِ، فَخانَكَ ريشُ الأَعْزَلِ؛ هذا ابْنُ أبـي قُحافَةَ يَبْتَزُّنِـي نُحَيْلَـةَ أبـي وَبُلْغَةَ ابْنِي، لَقَدْ أَجْهَرَ في خِصامِي، وَأَلفَيْتُهُ أَلَدَّ في كَلامِي، حَتَّى حَبَسَتْنِي قَيْلَـةُ نَصْـرَها، وَالمُهـاجِرَةُ وَصْـلَها، وَغَضَّـتِ الجَماعَـةُ دُونِـي طَرْفَهـا؛ فَـلا دافِـعَ وَلا مانِعَ، خَرَجْتُ كاظِمَةً، وَعُدْتُ راغِمَةً، أَضْرَعْتَ خَدَّكَ يَوْمَ أَضَعْتَ حَدَّكَ، افترست الذِّئابَ، وَافْتَرَشْتَ التُّرابَ، ما كَفَفْتُ قائِلاً، وَلا أَغْنَيْتُ باطِلاً، وَلا خِيارَ لي، لَيْتَنِي مِتُّ قَبلَ هَنِيَّتِي وَدُونَ زَلَّتِي ذِلَّتي، عَذيريَ اللهُ مِنْكَ عادِيًا وَمِنْكَ حامِيًا. وَيْلايَ في كُلِّ شارِقٍ، ماتَ الْعَمَدُ، وَوَهَتِ الْعَضُدُ. شَكْوايَ إلى أبي، وَعَدْوايَ إلى رَبِّي. اللّهُمَّ أَنْتَ أَشَدُّ قُوَّةً وَحَوْلاً، وَأَحَدُّ بَأْسًا وَتَنْكِيلاً.

فَقالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: لا وَيْلَ عَلَيْكِ، الْوَيْلُ لِشانِئِكِ، نَهْنِهي عَنْ وَجْدِكِ يَا ابْنَةَ الصَّفْوَةِ وَبَقِيَّةَ النُّبُوَّةِ، فَما وَنَيْتُ عَنْ دِينِي، وَلا أَخْطَأْتُ مَقْدُورِي، فَإِنْ كُنْتِ تُرِيدِينَ الْبُلْغَةَ فَرِزْقُكِ مَضْمُونٌ، وَكَفِيلُكِ مَأْمُونٌ، وَما أَعَدَّ لَكِ أَفْضَلُ ممّا قُطِعَ عَنْكِ، فَاحْتَسِبِي اللهَ، فَقالَتْ : حَسْبِيَ اللهُ، وَأَمْسَكَتْ [١]".

١) مجد الدين ابن الأثير، منال الطالب في شرح طوال الغرائب، تح/ محمود الطناحي، ص٥٠١–٥٠٧، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط١، ١٩٩٧.

(المَبحثُ الثَّاني)

مظاهرُ الحِجاجِ البلاغيّ واللُّغويّ في الخُطبةِ الفدكيةِ

وقد جلَّت لنا هذه الخطبةُ عن نفسِها فِي عددٍ من المظاهرِ، ذلكَ أنَّ السيدةَ الزهراءَ (عليها السلامُ)، نوَّعت مِن مظاهرِ الاستدلالِ الحجاجيّ؛ إثباتًا لحقِّها في أرض فدك، فأبرزت ما تحتاجُ إلى إبرازِه من مُعاملاتِ الاستدلالِ عبرَ عددٍ من الرّوابطِ الحِجاجيَّةِ التي استأنستْ بِها في خِطابِها.

فجاءت هذه الروابطُ على الوجهِ الذي بَلَغ الغايةَ في الإفهامِ فِي صُورِه البلاغيَّةِ واللغويَّةِ عَلى نحوِ ما سَنقِفُ عليهِ بشيءٍ من التفصيلِ هُنا تَحتَ تلكَ العتبةِ التي تمثَّلت فيهَا أنواعَ هذِه الروابطَ، مِن منطلقِ تلك الأهميةِ التي أولاها الدرسُ الحجاجيُّ لهذه الروابطِ، من حيثُ هذه الروابطُ "تربطُ بينَ قولينِ أو بينَ حجَّتين عَلى الأصلحِ (أو أكثر)، وتُسندُ لكلِّ قولٍ دورًا مُحددًا داخلَ الاستراتيجيةِ الحجاجيةِ العامةِ[1]"، ومِن ثَمَّ جعلتُ لكلٍّ منهَا مطلبًا قائمًا برأسِهِ، عَلى ذلك النّحوِ:

- **الروابطُ البلاغيَّةُ**
- **الروابطُ اللُّغويَّةُ**

١) أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، ص١٤، العمدة للطبع والنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط١، ٢٠٠٦.

- **المَطلبُ الأوَّلُ: الرَّوابطُ البلاغيَّةُ**

تركز البلاغةِ الحجاجِ على أداءِ الوظائفِ الحجاجيةِ المنوطِ بها إظهارُ الدلالات الكامنةِ في أعماقِ النصّ، فالأمر لا يقتصر على إظهار الجانبِ الجماليّ مع بعضِ ما تحدّد على غرارِها من دلالاتٍ فرعيةٍ، بل "تؤدّي بلاغةُ الحجاجِ بالأذهانِ إلى التسليمِ بما يُعرض عليها من أطروحاتٍ أو أن تزيدَ في درجةِ ذلك التّسليمِ [١]"، ومن هذا المنطلقِ تأتَّى لي تحليلُ الجوانبِ البلاغيةِ في هذه الخطبةِ على النحوِ المُنوّه بِما أُشكِلَ مِن مرامِيهَا؛ تبيانًا للحجَّةِ التي استندت إليها السيدةُ الزهراءُ في إثباتِ حقِّها ، من خلالِ الربطِ البلاغيّ بينَ ما يُسمَّى – حجاجيًّا – بِالمقامِ، وبينَ قرائِنِه ذاتِ القوةِ الفاعلةِ في التأطيرِ لمفهومِ الحُجَّةِ المستدَلِّ بِها فِي إثباتِ أمرٍ أو نفيِهِ، بما لهذا المقامِ من قوَّةِ الجمعِ بين الـ "قدرات البُرهانيةِ، والحقائقِ الفعليةِ، والقرائنِ البلاغيةِ [٢]".

- **بلاغةُ الفصلِ والوصلِ:**

عُني الخطابُ الحجاجيُّ فِي خُطبةِ الفَدَك ، بِبعضِ ما تقومُ به الحجةُ على المُناوئينَ مِن الأساليبِ البلاغيةِ؛ لتربطَ بهَا بينَ المعانِي المُتناسجةِ فيها ربطًا دلاليًّا يُبرزُ مَدَى ما ألحقتْهُ بِالمُستمعينَ إليهَا مِن تأثيرٍ حمَلَ في نهايةِ الأمرِ المنوطَ بِه الخطابُ على الإذعانِ والتَّسليمِ بِقولِهِ: "**صَدَقَ اللهُ وَرَسولُهُ، وَصَدَقَتِ ابْنَتَهُ؛ أَنْتِ مَعْدِنُ الحِكْمَةِ، وَمَوْطِنُ الهُدى وَالرَّحْمَةِ، وَرُكْنُ الدِّينِ وَعَيْنُ الحُجَّةِ**"، فكانَ مِمَّا أجملَتْ فيهِ ملامحَ الحُجَّةِ والبُرهانِ عَلى سندِها القويّ فِيما ذهبتْ إليهِ،

---

١) عبد الله صولة، في نظرية الحجاج (دراسة وتطبيقات)، ص١٣، مكتبة مسكلياني للنشر، تونس، ط١، ٢٠١١.

٢) حاج هني محمد – روقاب جميلة، الأساليب البلاغيَّة والروابط الحجاجيَّة من خلال كتاب (البرصان والعرجان والعميان، للجاحظ)، ص١٠٠، مجلة المقري للدِّراسات اللغويَّة والنظريَّة والتطبيقيَّة، عدد/ مارس ٢٠٢٠.

عطفُها بعضَ الكلامِ علَى بعضٍ منِ أوَّلِ استهلالِها بِالحمدِ، فالثَّناءِ عَلى اللهِ – تعالى – والشّهادةِ له بالوحدانيةِ، ثمَّ الشهادةِ لأبيها بالرسالةِ – وهِي مقاطعُ متباينةٌ في المدّةِ المستغرقِ غيرَ أنَّ لكلٍّ منها بسابقِه ولاحقِه سببًا موجبًا للوصلِ، من أنَّها مُتحدَّةُ الدلالةِ والمعنَى، فوصلَت بينَ كلٍّ منها بِـ(الواو) التي تُشكِّلُ عُنصرَ الوصلِ البلاغيّ الرئيسِ، دالَّةً بها علَى أنَّ جميعَ ما عطفت بعضَه على بعضٍ سواءٌ في الحُكمِ مِن خلالِ ذلكَ التَّشريكِ الذي أحدثتْهُ بِها[1].

وقد شَرَّكت بينَ تلك المتعاطفات بُرهانًا على أنَّ حُكمَ رسولِ اللهِ–صلَّى الله عليه وسلَّم – مِن حُكمِ الله تعالَى، وليسَ بينَ هذا وذاك فصلٌ في المَعنَى، ودليلًا على أنَّ ما تركَهُ الرسولُ – صلَّى الله عليه وسلَّم – مِن إرثٍ قوليٍّ أو فعليٍّ لهَا فيهِ أكثرَ مما لغيرِها؛ فهي قرابتُه وصلتُه الباقيةُ في الأمَّةِ.

وكانَ مبنَى أكثرِ خِطابِها عَلى الوصلِ البلاغيّ؛ لِحاجةِ المقامِ إليهِ أكثرَ مِن شَطَطِه فِي منأًى عنهُ، ولكنَّها لجأتْ (عليها السلامُ) إلى الفصلِ فِي مواضِعَ، أحوجتْهَا لذلكَ الفصلِ، وكانَ أبرزَ هذه المواضعِ موضِعانِ فصلَتْ فيهَا الكلامَ عن بعضِهِ.

الموضعُ الأوَّلُ، من قولِها: "**فَرَأى الأُمَمَ فِرَقًا فِي أدْيانِها، عُكَّفًا على نيرانِها، عابِدَةً لأَوثانِها، مُنْكِرَةً لله مَعَ عِرْفانِها**"، وقد قصلتْ في مقامٍ هو الأحوجُ لذلك، فَفِي إبدالِ (عُكَّفًا، عَابِدةً، مُنكِرةً) مِن (فِرَقًا) أو جعلِها تَفسيرًا لِلضميرِ المُكتَنِّ في (فِرَقًا) مَا يُظهرُ الحُجَّةَ ويأخذُ بِعُنقِ الكلامِ إلى حيثُ يُرادُ منهُ؛ لأنَّ الأُممَ التي تحدَّثتْ عنهَا لَم تجتمِع فيهَا تلك العباداتُ في آنٍ معًا، بل إمَّا أن تكونَ تفرَّقت في عصورٍ مختلفةٍ، أو فِي بِقاعٍ متباينةٍ منها، فكانَ الفصلُ أولَى

١) حسن إسماعيل عبد الرازق، البلاغة الصافية، (في المعاني، والبيان، والبديع)، ص٢٣١، المكتبة الأزهريَّة للتراث، القاهرة، مصر، ط١، ٢٠٠٦.

بأداءِ تلك الوظيفةِ حتَّى لا يشعرَ المخاطبُ – معَ العطفِ – أنَّ الأُممَ المتحَدَّثَ عنهَا كانت جميعًا تُتولَى بعبادَاتِها أصنافًا متعددةً في آنٍ واحدٍ، كما أنَّ مؤدَّى هذا الفصل إلى التأكيد على إرادةِ اللهِ – تعالَى – في هؤلاءِ الناسِ، فمعَ تفرُّقِهم عَلى دياناتٍ وعباداتٍ مختلفةٍ، أَلَّفَ الله – تعالى – بينَهم وجمعَهم تحتَ رايةٍ واحدةٍ.

المَوضعُ الثَّاني، وهو الذي أبانت عن حقيقةِ الرابطةِ والعلاقةِ الحجاجيَّةِ التي أقامتْها على الناسِ بخطابِها هذا، بِردِّ بعضِ الكلامِ علَى بعضٍ، أو ما يُسمَّى بالتَّقابلاتِ الدلاليَّةِ الإشاريةِ التي أسَّس كلٌّ من (ريتشارد وأوجدون) نظريَّتَهما عليها، معتمدين على العوامل النفسيَّةِ الدافعةِ بالمتكلِّمِ نحوَ الربطِ بينَ ظواهرِ اللغةِ وبعضِها وبينها وبينَ البواعثِ النفسيَةِ الموجبةِ للاستدلال[١]، فقالتْ: "**فَبَلَّغَ الرِّسالَةَ صادِعًا بِالنِّذارَةِ، مائِلًا عَنْ مَدْرَجَةِ الْمُشْرِكِينَ، ضارِبًا ثَبَجَهُمْ، آخِذًا بِأَكْظامِهِمْ، داعِيًا إِلى سَبيلِ رَبِّهِ بِالحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنةِ، يَكْسِرُ الأَصْنامَ، وَيَنْكُتُ الْهام**"، فقد كانَ كلامها السَّابق الذي فصلَتْ بعضَهُ عن بعضٍ حديثًا عن قُدرةِ اللهِ – تعالى – المتجليَةِ في بَسطِ يَدِ الخيرِ لعبادِه باجتبائِهِم لِدينِه بعدَ أن كانوا متفرقينَ تحتَ عباداتٍ مختلفةٍ، فاستدلَّت بهِ علَى صدقِ رسالةِ أبيهَا وقوَّةِ حُجّتِها فيمَا تقولُ، فَما دامَ ذلكَ حُكمَ اللهِ تعالَى، فَالأمرُ كذلك لِنبيّه الذي اختارَهُ لتنفيذِه، وهُنا اختارتِ الوصلَ بينَ (صَادِعًا بِالنِّذَارَةِ) و(مائِلًا، ضَاربًا، آخِذًا، دَاعِيًا، يَكسِرُ)؛ لِمَا بينَ تلكَ النعوتِ التي جَلَّتْ عَن أصداءِ الدّعوةِ المحمديةِ فِي نفوسِ مُستقبليها، وبينَ التَّبليغِ الذي هوَ أساسُ هذه النعوتِ.

فكانَ في إبدالِها (مَائلًا، ضَاربًا، آخذًا، دَاعِيًا، يَكسِرُ) مِن (صَادِعًا) دليلٌ عَلى أنَّها ارتكزتْ في الإبانةِ عمَّا تودُّ إقرارَهُ في نفوسِ المُتلقِّينَ مِن الربطِ المعنويِّ

١) محمد سعد محمد، في علم الدلالة، ص٢٩، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر، ط٢، ٢٠٠٧.

بينَ ما أعملت فيهِ بلاغةَ الوصلِ مِن قولِهَا: "فَرَأى الأُمَمَ فِرَقًا في أَدْيانِها، عُكَّفًا على نيرانِها، عابِدَةً لأَوثانِها، مُنْكِرَةً لله مَعَ عِرْفانِها" وقولِهَا: "فَبَلَّغَ الرِّسالَةَ صادِعًا بِالنِّذارَةِ، مائِلًا عَنْ مَدْرَجَةِ الْمُشْرِكِينَ، ضارِبًا ثَبَجَهُمْ ... إلخ"، بِمَا يُؤذِنُ بِه هذا المظهرُ الدلاليُّ المُعوَّلُ فيهِ عَلى بلاغةِ الوصلِ.

- **بَلاغةُ الاقتِباسِ:**

ثمَّةَ مَا يلجأُ إليهِ المتكلِّمُ أو الكَاتبُ لِتعضيدِ كلامِه، وتقويةِ حجَّتِه، مِن كلامِ غيرِه بِتضمينِه لفظًا ومعنًى في كلامِه، وكونُ القرآنِ حُجَّةَ اللهِ – تعالى – البالغةِ عَلى عِبادِه، ساقت منهُ السيدةُ الزهراءُ (عليها السَّلام) مَا يُلزمُ خصمَهَا الحجَّةَ، ويقطعُ عليهِ الطريق في الاسترسالِ فيمَا هو آخذٌ فيهِ مِن محاولةِ ردِّ الدليلِ بالدليلِ، على طريقةِ الاقتباسِ[1]، فعمدَت إلى كثيرٍ من الآياتِ التي وظَّفتْهَا في البرهَنَةِ على صحَّةِ مذهبِهَا، والاستدلالِ على دِقَّةِ حديثِها؛ متسلِّلةً بِها إلى قلوبِ جمهورِها وأذهانهم، ومُنبِّهةً عَلى أنَّ الأمرَ جلَلٌ والخَطبَ عظيمٌ.

فكانَ مِمَّا استدلَّت بهِ مِن آياتِ الكِتابِ العزيزِ، ممَّا تنهضُ به حُجّتُها، قولُ الله تعالَى: "اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ" [آل عمران: ١٠٢]، فكانَ ذلك أوّلَ ما استهلَّت بهِ مقامَ الاحتجاجِ على جمهورِ المُتلقّين؛ بِغرضِ تحريضِهم بَداءةً علَى الاستِجابةِ لمقالِه والإذعانِ والتسليمِ لِمَا سيُقالُ بعدَهُ، فمقامُ التُّقوَى للهِ مِن أعلَى مقاماتِ العبوديَّةِ، وَإنَّ للتقيِّ مِن النزولِ عندَ حُكمِ اللهِ مَا ليسَ يحكمُ بِه فاجرٌ، وإيرادُها لتلكَ الآيةِ عقِبَ قولِهَا: "**عَهْدٌ قَدَّمَهُ إِلَيْكُمْ، وَبَقِيَّةٌ استَخْلَفَها عَلَيْكُمْ، كِتابُ اللهِ النّاطِقُ، والقُرْآنُ الصّادِقُ، وَالنُّورُ السّاطِعُ، وَالضِّياءُ اللاّمِعُ، بَيِّنَةٌ بَصائِرُهُ، مُنْكَشِفَةٌ سَرائِرُهُ، مُتَجَلِّيَةٌ ظَواهِرُهُ، مُغْتَبِطَةٌ بِهِ أَشْياعُهُ، قائِدٌ**

---

١) شمس الدين ابن قيم الجوزية، الفوائد المشوق إلى علوم القرآن، تح/ جماعة من المختصين، ص ١٧٣–١٧٥، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٢.

إلـى الرِّضْـوانِ اتّباعُـهُ، مُـؤَدٍّ إلـى النَّجـاةِ إسْماعُهُ. بِـهِ تُنـالُ حُجَـجُ اللهِ المُنَـوَّرَةُ، وَعَزائِمُـهُ المُفَسَّـرَةُ، وَمَحارِمُـهُ المُحَـذَّرَةُ، وَبَيِّناتُـهُ الجالِيَـةُ، وَبَراهِينُـهُ الكافِيَـةُ، وَفَضـائِلُهُ المَنْدوبَـةُ، وَرُخَصُـهُ المَوْهُوبَـةُ، وَشَـرايِعُهُ المَكْتُوبَـةُ" الـذي أحلَّتْـهُ مـن خِطابِها محلَّ التّوطِئَةِ للاستشهادِ بِآياتٍ مِن القرآنِ عَلى ما تقولُ، وتهيئةً للنَّاسِ لِمَا سَيُلقَى عليهم، وتحريضًا لهم عَلى التَّسليمِ بصحَّةِ ما تذكرُ، فجمعَت بينَ القولِ الصادقِ ومُناسبةِ قِيلِه مِن وجهٍ، ومِن الوجهِ الآخرِ، جمعَت بينَ الاستدلالِ الدامغِ مِن القرآنِ والتمهيد المُلائِم لهُ[1]، وذلك لونٌ مِن البلاغةِ لم يُؤتَهُ إلَّا مَن تربَّى في حِجرِ النبيِّ – ﷺ– مِن آلِه.

وتابَعَت الاستِدلال بِآياتِ اللهِ – تعالى – فِي مواضِعَ عديدةٍ من الخُطبةِ، بِحسَبِ المُناسبةِ المُوجبةِ للاستشهادِ، فَاقتبسَتْ مِن سورةِ التَّوبةِ قولَهُ تبارَكَ وعَلا: "لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ ما عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيم" [التوبة: ١٢٨]، بعدَ إيعازٍ للنَّاسِ بِأنَّها بِنتُ رسولِ اللهِ –صلى الله عليه وسلم–، وتنبيهٍ عَلى صِلَتِها بِهِ، كَأنَّها ساقت تلك الآيةَ إقرارًا لِحقِّها في العصمةِ الممنوحةِ لأبيهَا –ﷺ–، ما يحملُ النّاسَ على الرُّكونِ إليها والذّودِ عنها فِيمَا وُجِّهَ إليهَا مِن الإعناتِ والإجحافِ الذي لَحِقَ بِها.

ثـمَّ تعطِـفُ نحـوَ آيـةٍ أُخـرَى فِـي تَمثُّلِهـا لِحـالِ هـؤلاءِ القـومِ قبـلَ مبعـثِ النبـيِّ –ﷺ– ، مِن الجوعِ والخوفِ والتخطُّفِ، فتسُوقُ ما يدلُّ على ذلكَ، مُنبِّهةً عَلى فضلِ أبيها عَليهم، مُستدلَّةً على رحمةِ اللهِ –تعالى– التي أجراهَا عَلى يَديهِ فِيهم، بقولِه جلَّ ذِكرُه: "تَخافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِكُمْ" [الأنفال: ٢٦]، مُذكّرةً لهُم بِما كانوا عليهِ معَ اليهودِ والنَّصارَى، ومَا آلُوا إليهِ مِن النعمةِ والدَّعةِ

---

١) انظر: سامر بلعابد نيبور، الحجاج وأسس بناء الدلالة، ص٢١٧، مسارات للنشر والتوزيع، الإمارات العربيَّة المتحدة، ط٢، ٢٠١١.

والاستقرارِ والأمنِ بِقولِه سُبحانَهُ: "كُلَّما أَوْقَدُوا نارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَها اللهُ" [المائدة: ٦٤]، وجَميعُها شواهدُ تبنَّت الزهراءُ (عليها السلامُ) بِها الرَّدَّ المُفحِمَ الذي تَوقّعتْهُ مِن أيٍّ مِمَّن حضَرَ الخُطبةَ قَبلَ أن يتكلَّمَ، فعمدَتْ بِهذه الشواهدِ المُقتبسةِ مِن كلامِ اللهِ –عزَّ وجلَّ–، إلَى دَعمِ كلِّ مَقالٍ بالدليلِ المُلزِمِ؛ لِتقطَعَ بِهِ جهيزةَ كلِّ مُتكلِّمٍ.

ولعلَّ أقدمَ الإشاراتِ إلى حُجيَّةِ الاقتباسِ مِن القرآنِ الكريمِ؛ لِإقامةِ الدليلِ عَلى مَن لَا يَمتثلُ لِبُرهانٍ ولا يَتَّزعُ لِحُجَّةٍ، مَا نصَّ عليه الثعالبي (ت ٤٢٩)، بِقولِه: "وَإنما قُصارَى المتحلّين بالبلاغةِ، والحاطبين في حبلِ البراعةِ، أن يَقتبسوا مِن ألفاظِه ومعانيه فِي أنواعِ مقاصدِهم، أو يستَشهدوا وَيتمثَّلوا بِه في فنونِ موارِدِهم ومصادِرِهم [1]"، وإنَّ في هذا الكلامِ أدلَّ الدليلِ عَلى إرادةِ الاحتجاجِ بِكلامِ اللهِ –تعالى– المقتبسِ عَلى الغرضِ المقتَبَسِ فيهِ، فَقولُه: "أنْ يَقتَبِسُوا مِن أَلفاظِهِ وَمعانِيهِ فِي أنواعِ مَقَاصِدِهم..." تَنويهٌ بِاتِّخاذِ المُتكَلِّمِ القُرآنَ دليلًا وبُرهانًا عَلى مَا راحَ يُثبِتُه أو يَنفيهِ، وفاطمة الزهراء هي مَن هي في الاستشهاد بالأدلة القرآنية.

- **الرَّبطُ بالكِناياتِ، والتَّعريض[2]:**

وكانَ مما ضمَّنتْهُ دلالةَ الإلزامِ مِن الروابطِ البلاغيةِ التي تحتاجُ في نظرِها عينًا ثاقبةً ونظرةً آنيةً، كِنايَتُها عَن خلقِ اللهِ الأرواحَ في عالمِ الذَّرِّ قبلِ نزولِها في الأجسادِ، بقولِها: "**وَاصْطِفاهُ قَبْلَ أَنِ ابْتَعَثَهُ، إِذِ الْخَلائِقُ بالغَيْبِ مَكْنُونَةٌ، وَبِسِتْرِ الأَهاويل مَصُونَةٌ، وَبِنِهايَةِ الْعَدَمِ مَقْرُونَةٌ**" تمثُّلًا لِحقيقةِ ما انطوَى تحتَ ذلكَ مِن أنَّ بُرهانَ اللهِ المُقامِ عَلى عبادِه بِبعثَةِ نبيِّه –ﷺ– لم يَكُن بِالذي يُوجِبُ الامتثالَ

١) أبو منصور الثعالبي، الاقتباس من القرآن الكريم، تح/ ابتسام مرهون الصفار، ومجاهد مصطفى بهجت، ص٣٩، دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة، مصر، ط١، ١٩٩٢.

٢) السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ص٢٧٣.

مِن زمنِ البعثةِ، بل إنَّهُ أسبقُ من خلقِهِم، وهذا مُوجبٌ لِتسليمِهم بِضرورةِ تفويضِ الزَّهراءِ عليها السلامُ في حقِّها.

ثمَّ تُوجِّهُ الجمهورَ مِن المُخاطبينَ بِخُطبَتِها إلَى دلالةٍ جدَّت في تحصِيلِها بِطريقِ التَّعريضِ أو المُواربةِ[١]، حينَ استنكرَت عليهِم مَا أحدثُوه في الإسلامِ بعدَ وفاةِ أبيهَا –ﷺ– بِتوَلِّيهم عَن حقِّها الذي هي أولَى بهِ مِن غيرِها، مِن قولِهَا: "**ما هذِهِ الْغَمِيزَةُ فِي حَقِّي؟ وَالسِّنَةُ عَنْ ظُلامَتِي؟**"، ذلكَ أنَّها عرَّضَت هُنا بِـ(الغَمِيزَةِ) وَبـ(السِّنَةِ) عَن إعراضِهم عَن الاستجابةِ لأوامرِ اللهِ –تعالى– التي تقضِي بِحَقِّ الوارثِ فِي أبيهِ؛ لِقُربِه مِنهُ وصِلَتِه بِه.

كما عرّضتْ بِفعلِهم هذا، مِن قولِهَا: "وَأَشْرَكْتُمْ بَعْدَ الإِيمانِ؟" عَن ارتدادِ الأنصارِ عَلى أعقابِهم بعد النبيِّ –ﷺ– يَفعلونَ فِعلَ الجاهليَّةِ، فَوظَّفتْ الرَّبطَ بِالاستفهامِ الاستنكاريِّ المُشيرِ إلى استنكارِها لِهذا الفعلِ عليهم، لَا لأنَّهم أعانُوا أبو بكر عَلى حقِّها، بل لِأنَّهُم ليسُوا أهلًا لِأن يَكونوا عَلى مَا وصفَتْهم بِه، والشِّركُ الذي ذكرتْهُ في حديثِها (عليها السلامُ) شِركٌ حُكميٌّ، قَائمٌ عَلى التَّعريضِ بِالفِعالِ المشينةِ، فضمنت خِطابِها بِمَا لَهُ فِي نفسِ هؤلاءِ مِن الوقعِ المؤثِّرِ المُنعكِسِ عَليهِم بِالإقناعِ، فَارتبطَ أسلوبُ التَّعريضِ بِمُنعكساتِه التأثيريّةِ بِالأجواءِ النفسيَّةِ التي حَرَّكتْهَا فيهم بِهذا التَّعريضِ.

- **الرَّبطُ البلاغيُّ بِالاستِعارةِ[٢]:**

وما نَقفُ عليهِ مِن مَلكاتِ الخِطابِ المُعمَلَةِ فِيهِ بِغرضِ إنفاذِ الحُجّةِ إلَى المُخاطبِ بِهَا؛ لِإفحامِه بِإقامةِ الدليلِ عَليهِ، قَولُها عَليها السَّلامُ: "**فَجَعَلَ اللهُ**

١) ابن أبي الإصبع المصري، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تح/ حفني محمد شرف، ص٢٤٩، المجلس الأعلى للشؤون الإسلاميَّة، القاهرة، مصر، ط١، ٢٠١٤.

٢) عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص٣٤.

الإيمانَ تَطْهيرًا لَكُمْ مِنَ الشِّرْكِ، وَالصَّلاةَ تَنْزِيهًا لَكُمْ عَنِ الكِبْرِ، والزَّكاةَ تَزْكِيَةً لِلنَّفْسِ وَنَماءً في الرِّزْق، والصِّيامَ تَثْبيتًا للإِخْلاصِ، والحَجَّ تَشْييدًا لِلدّينِ، وَالعَدْلَ تَنْسيقًا لِلْقُلوبِ، وَطاعَتَنا نِظامًا لِلْمِلَّةِ، وَإمامَتَنا أمانًا مِنَ الْفُرْقَةِ، وَالْجِهادَ عِزًّا لِلإِسْلامِ، وَالصَّبْرَ مَعُونَةً عَلَى اسْتِيجابِ الأَجْرِ، وَالأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ مَصْلَحَةً لِلْعامَّةِ، وَبِرَّ الْوالِدَيْنِ وِقايَةً مِنَ السَّخَطِ، وَصِلَةَ الأَرْحامِ مَنْماةً لِلْعَدَدِ، وَالْقِصاصَ حِصْنًا لِلدِّماءِ، وَالْوَفاءَ بِالنَّذْرِ تَعْريضًا لِلْمَغْفِرَةِ، وَتَوْفِيَةَ الْمَكاييلِ وَالْمَوَازِينِ تَغْيِيرًا لِلْبَخْسِ، وَالنَّهْيَ عَنْ شُرْبِ الْخَمْرِ تَنْزِيهًا عَنِ الرِّجْسِ، وَاجْتِنابَ الْقَذْفِ حِجابًا عَنِ اللَّعْنَةِ، بِعَمدِهَا إلَى الصُّورةِ الاستعاريةِ المُتراكبَةِ، التي تمخَّضتْ عَن استعاراتٍ عِدَّةٍ مُتلابسةٍ، فقد استعارت فِي بِدايةِ هذا البابِ، المَاءَ المُطهّرَ لِلأبدانِ لـ(الإيمانِ) المُطهّرِ للنفوسِ، بِجامعِ مَا بينَهما مِن النّظافةِ عمَّا يُدنِّسُ البَدَن والنَّفسَ مِن شَائنِ الأفعالِ، ثمَّ تابعت بعَددٍ مِن الاستعاراتِ المُلابسةِ لِهذه الاستعارةِ، بِجعلِ تلكَ المُشارِ إليهَا أمًّا وَمركزًا حيويًّا تدورُ حواليهِ سائرُها، فالإيمانُ أصلُ كلِّ تَالٍ لهُ مِمّا ذكرته في الاستعارات التاليةِ، فالمُنزّهاتُ الماديةُ المُستعارةُ للصّلاةِ، والنّماءُ المحسوسُ في الأموالِ والزروعِ المُستعارُ للزَّكاةِ، والنظامُ الترتيبيُّ التَّنسيقيُّ المُستعارُ للعدلِ ... إلى آخرِ ما جاءتْ بهِ من هذه الاستعاراتِ دليلٌ بَيّنٌ عَلى طلبِها (عليها السلام) لاستقطابِ قلوبِ هؤلاءِ والتأثيرِ فيهم، بِردِّهم إلى حظيرةِ الدينِ راغبينَ غيرَ راهِبينَ.

- بَلاغةُ الفواصلِ السَّجعيَّةِ:

وإنَّ مِن أبلغِ مَا يتَّصلُ بِهِ قلبُ المُخاطبِ، ويُمثِّلُ حضورًا ذهنيًّا مُلفِتًا لهُ، مَا يقومُ بِه المُرسِلُ مِن تزيينٍ لِعباراتِه المُتتابعةِ بِأنواعِ الفواصلِ السَّجعيَّةِ قريبةِ المُتناولِ، والتي لَا يَقتَصرُ دورُها عَلى أنَّها لِمجرَّدِ الزينة اللفظيةِ، بِل إنَّ لها عَملًا وثيق الاتّصالِ بالمَعنَى والدلالةِ، فالفاصلةُ السجعيةُ مُمثِّلة لِحقيقةِ الالتحامِ بينَ المعانِي الموضوعةِ تحتَها، والإيقاعِ الذي تؤدِّيه لدَى السامعِ، وقد بَنت السيّدةُ الزَّهراءُ أكثرَ خُطبَتِها مِن أوَّلِهَا إلَى نِهايتِها عَلى الفواصلِ السَّجعيَّةِ القصيرةِ،

والفواصلُ السَّجعيةُ القصيرةُ أدلُّ عَلى قوَةِ الملكةِ وأبينُ للحُجةِ مِن الطويلَةِ[١]، ولتحقيقِ مقامِ بلاغةِ الفواصلِ السجعيةِ في الخطبة يلزمُ مِن ذلكَ الإتيانُ على سَائرِ الخُطبةِ، غيرَ أنَّ ضيقَ المَقامِ مَانعٌ مِن ذلكَ؛ فَلذا اقتصرتُ عَلى الإشارةِ الموجزةِ إلى ذلكَ بِبيانِ أثرِ هذه الفواصلِ في تَقويمِ بنيةِ النصّ، وتعميقِ الدلالاتِ المُستوحاةِ منهُ، والتَّأثيرِ في المُخاطبينِ بِه.

وتلكَ قبساتٌ مِن مُعمَلاتِ الفواصِل السَّجعيَّةِ في الخُطبةِ الفدكيَّةِ، مُجتباةٌ مِن أوَّلِهَا وَثنيَاتِهَا وَآخرِهَا تدلُّ عَلَى مُرادِنَا مِما رُحنا ننشدُه مِن مُعاملاتِ التأثيرِ النفسيّ فِيمَن تُلقَى عليهِ، فَيتأثَّرُ لهَا، وَينساقُ وراءَهَا: "**الْحَمْدُ للهِ عَلى ما أَنْعَمَ، وَلَهُ الشُّكْرُ على ما أَلْهَمَ، وَالثَّناءُ بِما قَدَّمَ، مِنْ عُمومِ نِعَمٍ ابْتَدَاها، وَسُبُوغِ آلاءٍ أَسْداها، وَتَمامِ مِنَنٍ وَالَاهَا، جَمَّ عَنِ الإحْصاءِ عدَدُها، وَنأى عَنِ الْجَزاءِ أَمَدُها، وَتَفاوَتَ عَنِ الإدْراكِ أَبَدُها**".

و"**وَساءَ ما أَشَرْتُمْ، وشَرَّ ما مِنْهُ اعتَضْتُمْ، لَتَجِدَنَّ وَاللهِ مَحْمِلَهُ ثَقيلاً، وَغِبَّهُ وَبيلًا إِذا كُشِفَ لَكُمُ الغِطاءُ، وَبانَ ما وَراءَهُ الضَراءُ**" وقولهَا: "**عَذيريَ اللهُ مِنْكَ عادِيًا وَمِنْكَ حامِيًا. وَيْلايَ فِي كُلِّ شارِقٍ، ماتَ الْعَمَدُ، وَوَهَتِ الْعَضُدُ. شَكْوايَ إِلى أبي، وَعَدْوايَ إِلى رَبِّي**".

ومِن المُلاحظِ أنَّها (عليها السلامُ) خالفَت بينَ الفواصلِ السجعيةِ، فبنَتْهَا عَلى حروفٍ متباينةٍ فِي المخرجِ والصفةِ والإيقاعِ الدَّاخليّ النَّاتجِ عَن ترتيبِ الحروفِ في بنيةِ الفاصلةِ؛ بِحسَبِ المُقتضِي، لَا لمُجرَّدِ التنويعِ، فَوقعُ كلّ فاصلةٍ فِي مَكانها مِما يَنعكسُ فِيه إيقاعُ الفاصلةِ على المَعنى بِقوَّةِ التأثيرِ والجذبِ[٢].

١) أبو بكر الباقلاني، إعجاز القرآن، تح/ أبو بكر عبد الرازق، ص٥٠، مكتبة مصر، القاهرة، مصر، ط١، بدون سنة نشر.

٢) أبو بكر الباقلاني، إعجاز القرآن، ص٥٥.

المطلَبُ الثَّاني: الرَّوابطُ اللّغويَّةُ:

وهي تلك الروابطُ التي تُؤطِّرُ للعلاقةِ بينَ الملفوظِ القوليّ والمَنشودِ من الدلالاتِ السياقيةِ التي يَدلُّ عليهَا ذلكَ الملفوظُ، بِالتعويلِ في فهمِه عَلى قرينةِ المقامِ الخطابيّ الذي قيلَت فيهِ[1]، على شريطةِ عدمِ التعارضِ بين كلٍّ مما يقضِي به السياقُ، وما يُوجبُه المعنى الحرفيُّ لمادَّةِ اللغةِ، بما يسهّلُ على المرسلِ "ممارسةَ أكثرَ من فعلٍ في آنٍ واحدٍ؛ بغرضِ تطويعِ اللغةِ للقيامِ بأعباءِ الاحتجاجِ الإقناعيّ [2]".

ومِن تمثُّلاتِ السيدةِ الزَّهراءِ – عليها السلامُ – لِوسائطِ الربطِ اللغويَّةِ المُتباينةِ فِي إبرازِ الحُجَّةِ الآتِي:

١- تَحقيقُ المقامِ بِالجمَلِ الاسميةِ

بِما تَعنيهِ أسلوبيَّةُ التَوظيف للجملة الاسميَّةِ من إفادةِ مُطلَقِ الحصرِ، بِقصرِ الخبرِ عَلى المُبتدأ[3]، مِن قولِهَا عَليها السلامُ: "**الْحَمْدُ للهِ عَلى ما أَنْعَمَ، وَلَهُ الشُّكْرُ على ما أَلْهَمَ، وَالثَّناءُ بِما قَدَّمَ**"، فَقد قصرت الزَّهراءُ الحمدَ، والشُّكرَ، والثَّناءَ عَلى اللهِ –تعالَى–، وهو مِن بابِ قصرِ الصِّفةِ على موصوفِها، احتجاجًا عَلى أنَّ ما آلَ إليهِ الحُكمُ بِسلبِها حقَّهَا في فَدَكٍ وغيرِها ممَّا منعَها إيَّاهُ أبو بكرٍ ووافقَهُ عليهِ بعضُ الصَّحابةِ، إنْ تحققَ وحدثَ، فإنَّه مِن حُكمِ اللهِ، وإنَّها لتَحمَدُه سُبحانَهُ عليهِ وَتشكرُه، وتُثنِي عَليهِ؛ لِيقينِها فِي حِكمتِهِ فيهِ.

---

١) انظر: رجاء عيد، القول الشعري (منظورات معاصرة)، ص١٣٩، منشأة المعارف، الإسكندريَّة، مصر، ط١، ١٩٩٥

٢) مؤيد أل صوينت، بلاغة الحِجَاج في القرآن الكريم، ص١٢٩، بحثٌ مقدَّم للمؤتمر العلميّ الرابع لكلية التربية/ جامعة واسط، العراق، ٢٠١١، (بتصرفٍ في المعنى).

٣) ابن هشام الأنصاريّ، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تح/ محمد محيي الدين عبد الحميد، ١/١٥٤، دار الطلائع، القاهرة، مصر، ط١، ١٩٩٩.

٢ – الرَّبطُ اللُّغويُّ بالنِّداءِ:

كَما عُنيَتْ الزَّهراءُ عليها السَّلامُ، بِالبرهنةِ عَلى قوَةِ حُجَّتِهَا والاستدلالِ عَلى أحقيَّتِها فيمَا لا يُنازعُها فِيهِ أحدٌ من النّاسِ بِأسلوبِ النداءِ الذي وَظَّفتهُ في مَواضعَ عدَّةٍ من الخُطبةِ مُناشدةً بِه المُسلِمينَ المُجتَمِعينَ بِقولِهَا: "**أَنْتُمْ عِبادَ اللهِ نُصْبُ أمْرِهِ وَنَهْيِهِ وَحَمَلَةُ دينِهِ وَوَحْيِهِ**"، مُذكِّرةً لهُم بِأنَّ إقامَةَ موازينِ القِسطِ التي يُحكَمُ لَها فِيهَا بما أرادَ أبو بكرٍ سَلبَه منهَا، لَها وثيقُ الاتِّصالِ بكونِهم عِبادًا للهِ، وَأنَّ مَن كانَ ذلك شَأنُه، لا يَجوزُ لهُ أن يَنسبَ حقًّا لغيرِ أهلِه، فَاستعملتِ النداءَ ربطًا بينَ مَا هِيَ عليهِ من اليقينِ في اللهِ –تعالى– ومَا تَرجو أن يَكونَ عليهِ العِبادُ مِن التَقوَى التي تَمنَحُها حقَّهَا فِي فَدَك وإرثِ أبيهَا.

لِتخرُجَ بالنِّداءِ التَّالِي عَمَّا اشترعتْهُ لِنفسِهَا مِن سُبُلِ الاستِعطافِ التي أعملتِ النداءَ السابقَ فيهَا خارجًا عن حقيقتِه إليهِ، لِنداءِ النَّاسِ لَا لِنداءِ عِبادِ اللهِ، مِن قولِهَا: "**أيُّها النّاسُ! اعْلَمُوا أنّي فاطِمَةُ، وَأبي مُحمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ**"، حيثُ أمِنَت عَلى حقِّها بِتذكيرِ النَّاسِ بِأنَّهم عِبادٌ للهِ، وَأنَّ اللهَ –تعالى– هوَ مَن أمرَ باتِّباعِ أمرِ نبيِّهِ، وَأنَّ مَا عساهم يَتَّفقونَ فيه أو يُوافِقونَ أبا بكرٍ عليهِ ليسَ مِن سِماتِ عِبادِ اللهِ، فَنادَتْهم بِما يُشعِرُهم بِأنَّها لَم تَزَل فِي مَوقِف قوَّةٍ لا تَعبأُ لِمَا سَيكونُ مِنهُم، وَقد أدرَجتْ تحتَ ذلكَ النداءَ مِن التَّذكرةِ مَا يُحرّكُ القلوبَ لَهَا ويزرعُ في النفوسِ الرُّكونَ لَهَا، فعادَت لِنداءِ هؤلاءِ بطريقةِ الاسترحامِ واستدرارِ مَا في نفوسِهِم مِن نزعةٍ إيمانيَّةٍ بِتذكيرِهم بِأنَّهم عَلى المِلَّةِ التي تَركهم عليها النبيُّ –ﷺ–، بِقولِه: "**أَيُّهَا الْمُسْلِمونَ أأُغْلَبُ عَلى إرْثِيَهْ يَا ابْنَ أبي قُحافَةَ**"، وهو نداءٌ استعطافيٌّ مبنيٌّ عَلى استِثارةِ الهِمّةِ وإيقاظِ الرُّوحِ الإسلاميَّةِ لَدَى هؤلاءِ وَتحكيمِهم فِي المَسألةِ، بِسؤالِهم عن مَدَى تَأثيرِ فِعلِ أبِي بَكرٍ فِيهِم.

٣ – الرَّبطُ الدّلاليُّ بِالاستِفهامِ

ثُمَّ إنَّها تَعمَدُ إلَى إجراءٍ آخَرَ يَزخرُ بِالمَعانِي الدّالَّةِ عَلَى تَمسُّكِها بِهذا الحقّ الذي أرادَ أبو بكرٍ نَزعَه منها، ومنعَها مِنهُ، فَساوقت بينَ ضُروبِ الاستفهامِ

الخارجِ عن حقيقتِه إلى دلالاتٍ فرعيّةٍ كَالتَّوبيخِ والتَّقريعِ[1]، مِن أمثلَةِ قَولِهَا: "**فَهَيْهاتَ مِنْكُمْ، وَكَيْفَ بِكُمْ، وَأَنَّى تُؤْفَكُونَ؟**" ذلكَ أنَّها ربطت بينَ الاستفهامِ التقريعيّ الذي عَرَّضت فِيه بِفعلِ بعضِ المُسلمينَ بِسرعةِ استجابتِهم لِفعلةِ أبِي بَكرٍ التي عمدَ فِيهَا إلَى حِرمانِها مِن أبسطِ مَا يَجبُ عليهِ أن يُؤدِّيَه إليهَا بِقوامتِه عَلى ولايةِ أمرِ المسلمينِ، ولأنَّه مِن حقِّهَا فِي أبيهَا، وبينَ مَا تقدَّمَهُ مِن رضاهُم بِهذا الصَّنيعِ المُخزِي الذي وصفتْهُ بِأنَّهُ مِن فِعلِ الشَّيطانِ، بِقولِهَا: "**وَأَطْلَعَ الشَيْطانُ رَأْسَهُ مِنْ مَغْرِزِهِ، هاتفًا بِكُمْ، فَأَلْفاكُمْ لِدَعْوَتِهِ مُسْتَجيبينَ، وَلِلْغِرَّةِ فِيهِ مُلاحِظِين، ثُمَّ اسْتَنْهَضَكُمْ فَوَجَدَكُمْ خِفافًا، وَأَحْمَشَكُمْ فَأَلْفاكَمْ غِضابًا، فَوَسَمْتُمْ غَيْرَ إِبِلِكُمْ، وَأَوْرَدْتُمْ غَيْرَ شِرْبِكُمْ**"، فقرَّعتْهم لِموافقتِهم الفعلَ الذي وافقَ في نتائجِه أفعالَ الشيطانِ الذي خَرَجَ مِن مَغرِزِه، فكانَ استنادُها إلَى وصمِ هذا الفعلِ بِالأفعالِ الشيطانيةِ، سببًا وجيهًا في استنطاقِ ضَمائِرِهم وَإيقاظِ مساعِيهم فِي الردِّ عنهَا بعدَ إقرارِهم بِحقِّهَا فيما تَركَهُ لهَا أبوهَا –ﷺ–.

وفيمَا دلَّت بِه عَلى استنكارِها الشديدِ لفعلِ أبي بكرٍ، توبيخُه عَلى فعله هذا، بِطريقِ الاستفهامِ التوبيخيّ مِن قولِه: "أفي كِتابِ اللهِ أنْ تَرِثَ أباكَ، وِلا أرِثَ أبي؟ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا فَرِيًّا، أَفَعَلى عَمْدٍ تَرَكْتُمْ كِتابَ اللهِ"، ومِن رَبطِها بَينَ التوبيخِ الذي جعلت منهُ قوام الاستفهامِ وبينَ الاستفهامِ توجُّهُها بِالنداءِ مِن قَولِهَا: **أَيُّهَا المُسْلِمُونَ، أَأُغلَبُ عَلَى إِرْثِيَهْ يَا بنَ أَبِي قحَافَةَ** ..." حيثُ نادَتِ المُسلِمينَ – أوَّلًا– قبَل نِداءِ مَن هوَ أولَى بالنِّداءِ مِنهم لتعلُّقِ الحقِّ وَالخطابِ بِهِ، دليلًا عَلى عدمِ اكتراثِهَا لهُ، فإنَّ لهذا الفعلِ بُعدًا نفسيًّا بالغَ التأثيرِ في الجمهورِ لمستقبلِ خطبتِها، وفيمَن توجَّهت بها إليهِ، وفقَ المستوى النفسيّ لنظريةِ الحجاجِ[2] .

---

١) السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، ص٦٧.

٢) عبد المحسن علي حبيب الناصر، إشراقات غراء من خطاب السيدة الزهراء، ص٢٥، مركز العين للدراسات والبحوث المعاصرة، ط١، ٢٠١٨.

(المبحثُ الثَّالثُ)

الدّلالاتُ المُنبثقةُ عَن النّظمِ اللُّغويّ في الخُطبةِ الفدَكيةِ

إنَّ كثيرًا ممَّا احتجَّت بـه السيدةُ الزَّهراءُ – عليهَا السلامُ – مِن مَعاييرِ الاستدلالِ فِي ضروبها المُختلفةِ وَبناياتِها المُتفاوتةِ الدلالةِ، كانَ المُعوَّلُ فيهِ عَلى تِلكَ الظواهرِ اللغويةِ التي وظَّفتْها فِي تَحريرِ مَقالِها، وَإبرازِ مَعانِيهِ، والقيامِ بحُجَّتِها فِيه، فَراحَت تنظمُ المَعانِي تِباعًا فِي سِمطٍ بَديعٍ يَقعُ مِن العقولِ مَوقِعَهُ مِن القلُوبِ، فكانت دلالاتُ تلك الظواهرِ عَلى المَعانِي المنشودةِ بِالمحلِّ الذي لا يتَّسعُ لِغيرِ الزَّهراءِ – عَليها السَّلامُ – أن يَأتِيَ بِمثلِه أو بِما يُدانيهِ في القوَّةِ والانتِصافِ.

وَمِن أبرزِ معالِمِ الدلالةِ التي انبثقت عن الظواهرِ اللغويةِ الموظَّفةِ في الاستدلالِ على صِحَّةِ مذهبِها فِيمَا رَاحتْ تُلاحِقُ بِه أبا بكرٍ؛ لِتحمِلَهُ عَلى التَّسليمِ بحقِّهَا فِيمَا جرَّت أذيالَ ثوبهَا إليهَا لِتطلُبَهُ بِهِ، حُسنُ افتِتاحِهَا بِما لا يَتّسعُ لهُ الأمرُ إلَّا لِأن يَرضَخَ لهُ، تحتَ شدَّةِ تأثيرِه فِيهِ وفي الجمهورِ الذي تَلقَّاهُ بالقبولِ والإذعانِ[1]، وقَد بلَغَت ذلكَ بِحُسنِ استِهلالِهَا بِتلكَ التَّقدمةِ العذبةِ الجَاذبةِ: "**الْحَمْدُ للهِ عَلى ما أنْعَمَ، وَلَهُ الشُّكْرُ على ما أَلْهَمَ، وَالثَّناءُ بِما قَدَّمَ، مِنْ عُمومِ نِعَمٍ ابْتَدَاها، وَسُبُوغِ آلاءٍ أسْداها، وَتَمامِ مِنَنٍ وَالَاهَا، جَمَّ عَنِ الإحْصاءِ عدَدُها، وَنأى عَنِ الْجَزاءِ أَمَدُها، وَتَفاوَتَ عَنِ الإدْراكِ أَبَدُها، وَنَدَبَهُمْ لِاسْتِزادَتِها بالشُّكْرِ لِاتِّصالِها، وَاسْتَحْمَدَ إلَى الْخَلايِقِ بِإجْزالِها، وَثَنّى بِالنَّدْبِ إلى أمْثالِها، وَأَشْهَدُ أَنْ لا إلـهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَريكَ لَـهُ**" والَّتي انتصرَت فيهَا لقوَّةِ إرادَتِهَا في استِردادِ حقِّهَا بِالحمدِ والثناءِ عَلى الذَّاتِ العليَّةِ، والشَّهادةِ لهَا بِالوحدانيَّةِ ولِأبِيهَا بالرسالةِ،

---

١) انظر: عبد القاهر الجرجانيّ، أساس البلاغة في علم البيان، تعليق، محمد رشيد رضا، ص٦٧، المكتبة التوفيقيَّة، القاهرة، مصر، بدون سنة نشر.

فِي نَسَقٍ بَلاغيٍّ بارعٍ يُقرُّ لهَا بِلِسانِ الحالِ حَقَّهَا في أرضِ فَدَكَ، مُتخلِّصةً مِنه بعدَ طُولِ استشهادٍ واسترفادٍ لِمَا يَدعمُ حُجَّتَها مِن آياتِ الكِتابِ العزيزِ، وَالحِكمةِ النَّبويةِ التي تَلقَّتْهَا عَلى يدي النبيّ –ﷺ–، مُنتهِيةً إلَى مَا أرادَتِ الانتهاءَ إليهِ مِن إقرارِ أبِي بَكرٍ لهَا في نِهايةِ المَطافِ بِحقِّهَا فِي مِيراثِهَا مِن أبِيهَا فِيمَا خلَّفَه لَها مِن أرضِ فَدَك، والخمائل التي وهَبَها لهُ الرَّجلُ اليهوديُّ، حينَ نزَلَ عندَ رغبتِهَا موضِّحًا ذلكَ بِقولِه: "**صَدَقَ اللهُ وَرَسولُهُ، وَصَدَقَتِ ابْنَتُهُ؛ أَنْتِ مَعْدِنُ الحِكْمَةِ، وَمَوْطِنُ الهُدى وَالرَّحْمَةِ، وَرُكْنُ الدِّينِ وَعَيْنُ الحُجَّةِ، لا أُبْعِدُ صوابَكِ، وَلا أُنْكِرُ خِطابَكِ، هؤلاءِ المُسْلِمونَ بَيْنِيَ وبَيْنَكِ، قَلَّدوني ما تَقَلَّدْتُ، وَباتِّفاقٍ مِنْهُمْ أَخَذْتُ ما أَخَذْتُ، غَيْرَ مُكابِرٍ وَلا مُسْتَبِدٍّ وَلا مُسْتَأْثِرٍ، وهُمْ بِذلِكَ شُهودٌ**".

ذلك حيثُ "امتلكت السيدة الزهراءُ سلطةَ الكلامِ المعينةِ لها على إنجازِ ما تريدُ من خلالِها، من غيرِ أن تكونَ عرضةً للفشلِ[1]"، وكانَ مِن ملامِح التطوُّرِ الخطابيّ في هذا النَّصّ انتقالُه مِن طَورِ الخُطبةِ الاعتياديةِ إلَى طَورِ الروايةِ الذَّاتيَّةِ، حينَ أقبلَتْ عَلى أميرِ المُؤمِنينَ تُخبِرُه بِما جَرَى، لِيؤكِّدَ لهَا عَلَى رِضاهُ وقبولِهِ بِمَا حَدَثَ بِقولِهِ: "**لا وَيْلَ عَلَيْكِ، الْوَيْلُ لِشانِئِكِ، نَهْنِهي عَنْ وَجْدِكِ يَا ابْنَةَ الصَّفْوَةِ وَبَقِيَّةَ النُّبُوَّةِ، فَما وَنَيْتُ عَنْ دِينِي، وَلا أَخْطَأْتُ مَقْدُوري، فَإِنْ كُنْتِ تُرِيدينَ الْبُلْغَةَ فَرِزْقُكِ مَضْمُونٌ، وَكَفيلُكِ مَأمُونٌ، وَما أَعَدَّ لَكِ أَفْضَلُ ممّا قُطِعَ عَنْكِ، فَاحْتَسِبِي اللهَ**" ليضَعَ – عَليهِ السَّلامُ – بِهذا النصّ دستورًا إنسانيًّا يَرصدُ مظاهرَ العدالةِ التي يَنبغِي أن تَكونَ، بِإقرارِ الحقّ لكُلّ ذِي حقٍّ مِن غيرِ تجاوزٍ وَلا إعناتٍ، فَكانَ حديثُهَا لَه عَليهِ السَّلامُ، والذي أجابتْهُ بِه، تَخلُّصًا مِمَّا اشترعتْهُ

---

١) بيير بورديو، الرمز والسلطة، تر/ عبد السلام بنعبد العلي، ص ٧٩، دار توبقال للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ط٣، ٢٠٠٧.

مِن أوَّلِ الخُطبةِ طَلَبًا لِحقِّهَا فِي مَيراثِهَا مِن أبيهَا، حينَ قالتْ لهُ مُجيبةً: "**حَسبيَ اللهُ ...**".

- **الحجاجِ التقويميُّ في نَصِّ الخُطبَةِ:**

ومِن ملامِح الحِجاجِ المُنبثقةِ عن تلكَ الظواهرِ الموظَّفةِ في هذه الخُطبةِ، الحِجاجُ التقويميُّ، الذي أسهمَ بِدَورِه فِي تَقويمِ سلوكِ جمهورِ المسلمينِ المُذعنينِ بعدم أحقية السيدة فاطمة – رضي الله عنها – في الإرث متمثلًا ذلك في قول أبي بكر الصديق – رضي الله عنه – نقلًا عمَّا سمع من النبي – ﷺ – أنه قال: ((نَحْنُ مَعاشِرَ الْأَنْبِياءِ لا نُوَرِّثُ ذَهَبًا وَلا فِضَّةً وَلا دارًا وَلا عقارًا، وَإِنَّما نُوَرِّثُ الْكُتُبَ وَالْحِكْمَةَ، وَالْعِلْمَ وَالنُّبُوَّةَ، وَما كانَ لَنا مِنْ طُعْمَةٍ فَلِوَلِيِّ الْأَمْرِ بَعْدَنا أنْ يَحْكُمَ فِيهِ بِحُكْمِهِ)).

وقد برزت تلك النزعةُ التقويميةُ فِي قولِهَا عَليَها السَّلامُ: "**أَفَخَصَّكُمُ اللهُ بِآيَةٍ أَخْرَجَ مِنْها أَبِي؟ أَمْ هَلْ تَقُولونَ أَهْلُ مِلَّتَيْنِ لا يَتَوارَثَانِ، أَوَ لَسْتُ أَنَا وَأَبِي مِنْ أَهْلِ مِلَّةٍ واحِدَةٍ؟! أَمْ أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِخُصُوصِ الْقُرْآنِ وَعُمُومِهِ مِنْ أَبِي وَابْنِ عَمّي؟ فَدُونَكَها مَخْطُومَةً مَرْحُولَةً، تَلْقاكَ يَوْمَ حَشْرِكَ، فَنِعْمَ الْحَكَمُ اللهُ، وَالزَّعِيمُ مُحَمَّدٌ، وَالْمَوْعِدُ الْقِيامَةُ، وَعِنْدَ السّاعَةِ يخسَرُ المبطلون، وَلا يَنْفَعُكُمْ إِذْ تَنْدَمُونَ، "وَلِكُلِّ نَبَأٍ مُسْتَقَرٌّ" [الأنعام: ٦٧]، وَ"سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذابٌ مُقِيمٌ" [هود: ٣٩].**

ذلكَ أنَّها وظَّفتِ القِيمَ السلوكيَّةَ وَاجبَةَ الاتِّباعِ شَرعًا، فِي الاستِدلالِ عَلى بُطلانِ حُكمِ هؤلاءِ، وَسيرِهم خَلفَ رَأيِ مَن نَزغَ الشيطانُ في رُوعِه فَاستحلَّ مُحرَّمًا معلومَ الحُرمةِ، فسَعتْ بِهَا إلَى تقويمِ ذلكَ السّلوكِ باستنهاضِ همَمِهم لِاستِنكارِ مَا وقعَ مِنهُم فِي هذا الجَانبِ، بِتذكِيرِهم بِأنَّها بنتُ الرسولِ الكريمِ، وَأنَّها أولَى الخلقِ

بإرثِه دونَ غيرِها، فكانَ لتلكَ الاستراتيجيَّةِ الإقناعيةِ الدَورُ الأبلغُ تأثيرًا فِي تغييرِ توجُّهِ هؤلاءِ الجمهورِ(١).

- **الِحجاجُ التّوجيهيُّ فِي نصّ الخُطبةِ**

ومِن تلكَ الاستراتيجيات الدامغةِ التي اعتمدت عليها الخطبة في إقامةِ الحُجَّةِ مِن خلالِ الظواهرِ اللغويةِ المنتجةِ لِهذا النوعِ مِن الحِجاجِ، استراتيجيَّةُ التوجيهِ، التي عَمِلت مِن خلالِهَا عَلى توجيهِ الجمهورِ لما أرادت إثباته، قولُهَا: "**أَنْتُمْ عِبادَ اللهِ نُصْبُ أمْرِهِ وَنَهْيِهِ وَحَمَلَةُ دينِهِ وَوَحْيِهِ، وأُمَناءُ اللهِ عَلى أنْفُسِكُمْ، وَبُلَغاؤُهُ إلى الأُمَمِ، وَزَعَمْتُمْ حَقٌّ لَكُمْ للهِ فِيكُمْ، عَهْدٌ قَدَّمَهُ إلَيْكُمْ، وَبَقِيَّةٌ استَخْلَفَها عَلَيْكُمْ، كِتابُ اللهِ النّاطِقُ، والقُرْآنُ الصّادِقُ، وَالنُّورُ السّاطِعُ، وَالضِّياءُ اللاّمِعُ، بَيِّنَةٌ بَصائرُهُ، مُنْكَشِفَةٌ سَرائِرُهُ، مُتَجَلِّيَةٌ ظَواهِرُهُ، مُغْتَبِطَةٌ بِهِ أَشْياعُهُ، قائِدٌ إلى الرِّضْوانِ اتّباعُهُ، مُؤَدٍّ إلى النَّجاةِ إسْماعُهُ. بِهِ تُنالُ حُجَجُ اللهِ المُنَوَّرَةُ، وَعَزائِمُهُ المُفَسَّرَةُ، وَمَحارِمُهُ المُحَذَّرَةُ، وَبَيِّناتُهُ الجالِيَةُ، وَبَراهِينُهُ الكافِيَةُ، وَفَضائِلُهُ المَنْدوبَةُ، وَرُخَصُهُ المَوْهُوبَةُ، وَشَرايِعُهُ المَكْتُوبَةُ.**

فَجَعَلَ اللهُ – تعالى– الإيمانَ تَطْهيرًا لَكُمْ مِنَ الشِّرْكِ، وَالصَّلاةَ تَنْزِيهًا لَكُمْ عَنِ الكِبْرِ، والزَّكاةَ تَزْكِيَةً لِلنَّفْسِ وَنَماءً فِي الرِّزْقِ، والصِّيامَ تَثْبيتًا للإِخْلاصِ، والحَجَّ تَشْييدًا لِلدّينِ، وَالعَدْلَ تَنْسيقًا لِلْقُلوبِ، وَطاعَتَنا نِظامًا لِلْمِلَّةِ، وَإمامَتَنا أمانًا مِنَ الْفُرْقَةِ، وَالْجِهادَ عِزًّا لِلإِسْلامِ، وَالصَّبْرَ مَعُونَةً عَلَى اسْتِيجابِ الأَجْرِ، وَالأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ مَصْلَحَةً لِلْعامَّةِ، وَبِرَّ الْوالِدَيْنِ وِقايَةً مِنَ السَّخَطِ، وَصِلَةَ الأَرْحامِ مَنْماةً لِلْعَدَدِ، وَالْقِصاصَ حِصْنًا لِلدِّماءِ، وَالْوَفاءَ بِالنَّذْرِ تَعْرِيضًا لِلْمَغْفِرَةِ، وَتَوْفِيَةَ الْمَكاييلِ وَالْمَوَازِينِ تَغْيِيرًا لِلْبَخْسِ، وَالنَّهْيَ عَنْ شُرْبِ الْخَمْرِ تَنْزِيهًا عَنِ

١) محمد حمودي، الحِجاج واستراتيجيَّة الإقناع عند طه عبد الرحمن (مقاربة أبستمولوجية)، ص١٣١، مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم، الجزائر، عد/١٢، ٢٠١٢.

الرِّجْسِ، وَاجْتِنابَ الْقَذْفِ حِجابًا عَنِ اللَّعْنَةِ، وَتَرْكَ السِّرْقَةِ إيجابًا لِلْعِفَّةِ، وَحَرَّمَ الله الشِّـرْكَ إخلاصًـا لَـهُ بالرُّبُوبِيَّـةِ، فـ" اتَّقُـوا اللهَ حَـقَّ تُقاتِـهِ وَلا تَمُـوتُنَّ إلا وَأَنْـتُمْ مُسْلِمُونَ" [آل عمران: ١٠٢] وَأطيعُوا اللهَ فيما أَمَرَكُمْ بِهِ وَنَهاكُمْ عَنْهُ، فَإِنَّـه "إِنَّما يَخْشَى الله مِنْ عِبادِهِ العُلِماءُ" [فاطر: ٢٨].

فقدَ عمَدَتْ إلَى إنزالِهم عندَ رغبَتِها فِي إحقاقِ الحقِّ بِتوجيهِهم إلَى أنَّ مَا وقعُوا فيهِ مِن الضّـلالاتِ التي لَا تَنطَلِي عَلَى مُسلِمٍ اصطفاهُ اللهُ لِدينِه، وَتبليغِ رسالةِ نبيّه مِن بعدِه، حيثُ جعَلَ فيهِم كِتابَهُ الذي يَهتدونَ بِهِ ويسترشدونَ بِأوامرِهِ ونواهيه، فالحُجَّةُ مُقامةٌ عليهم بِهِ، وَليسَ فِي وسعِ أحدِهم أن يَجرَّهُم إلَى مَا ليسَ مِن هذا الكِتابِ فِي شيءٍ، فَكانَ معراجُها فِي التَّوجيهِ البُرهانُ الذي استندت إليهِ بِوصفِهِ حجَّةً عليهِم إن لم يَمتثِلوا لَهَا، وقد بلَّغتهم طريقَ الحقِ الذي تكبوا عنه بالاستدلالِ على صحةِ مذهبِها فيهِ بالحجةِ التي لا تُراجعُ والبرهانِ الذي لا يُدافعُ، انطلاقًا من أنَّ "حقيقةَ الخطابِ الاستدلاليّ ليست مجرد الدخول في علاقةٍ مع الغيرِ، وإنما هي الدخول معه فيها على مقتضى الادعاءِ والاعتراضِ، بمعنَى أنَّ الذي يُحددُ ماهيةَ الخِطابِ إنما هو العلاقة الاستدلالية[١]".

١) طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص٢٢٦، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٨.

الخاتمةُ

لَم تَكن تلكَ الدراسةُ المُوجزةُ لِتستوعبَ كلَّ مَا انطوت عَليهِ الخُطبةُ الفدكيةُ مِن ملامِح الحِجاجيَّةِ وَالبُرهانِ العقليّ وَاللغويّ وَالبلاغيّ؛ لِقِصَرِ الباعِ وَقلَّةِ الجُهدِ، غَيرَ أنَّي سَعيتُ لاستيفاءِ معالمِ الاستدلالِ اللغويّ والبلاغيّ والدّلاليّ فيهَا، مُبرزة أهمَّ مَا انضَوَى تَحتَها مِن نَتائجَ تحليليَّةٍ، فكَان مِمَّا توصَّلت لهُ مِن خلالِ العرضِ التَّحليليّ لهَا وفقَ نظريَّةِ الحِجاجِ واستراتيجياتها المختلفةِ كالآتِي:

- أهمية الأدبِ الحِجاجيّ فِي البرهنةِ عَلى الحق فِي مُواجهةِ الخصم وإقناع المناوئين وإثبات الحجة عليهم.
- اتِّسامُ بلاغةِ الاحتجاجِ في الخطبة بِمجموعةٍ مِن الخصائصِ اللغويَّةِ والبلاغيَّةِ.
- تَأسَّست حِجاجيّةُ النَّصّ عَلَى عُنصُرَينِ رَئيسينِ، الأوَّلُ: نَفيُ البَاطلِ وَإزهاقُه بِالبُرهانِ الدَّامغِ، والثَّاني: إثباتُ الحقّ بِالدَّليلِ الذي لَا يَقبلُ الجَدلَ.
- التَعويلُ في الخطبة– فِي إقامةِ الدليلِ –عَلَى الظَّواهرِ اللغويَّةِ والصُّوَرِ البلاغيةِ والقرائنِ الدِّلاليَّةِ.

مَصادرُ التَّوثيقِ

- ابن أبي الإصبع، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، المجلس الأعلى للشؤون الإسلاميَّة، القاهرة، مصر، ط١، ٢٠١٤م.
- ابن هشام الأنصاريّ، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تح/ محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، القاهرة، مصر، ط١، ١٩٩٩م.
- أبو بكر الباقلاني، إعجاز القرآن، تح/ أبو بكر عبد الرازق، ط ١، د.ت.
- أبو بكر العزاوي، اللغة والحجاج، العمدة للطبع والنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط١، ٢٠٠٦م.
- أبو منصور الثعالبي، الاقتباس من القرآن الكريم، تح/ ابتسام مرهون الصفار، ومجاهد مصطفى بهجت، دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة، مصر، ط١، ١٩٩٢م.
- أحمد الرحماني الهمداني، فاطمة الزهراء بهجة قلب المصطفى، مؤسسة البدر للنشر والتوزيع، ط١، ١٣٦٩هـ.
- بيير بورديو، الرمز والسُّلطة، تر/ عبد السلام بنعبد العلي، دار توبقال للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ط٣، ٢٠٠٧ م.
- توفيق أبو علم، أهل البيت، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط٥، ١٩٨٩ م.
- حاج هني محمد – روقاب جميلة، الأساليب البلاغية والروابط الحجاجية من خلال كتاب (البرصان والعرجان والعميان، للجاحظ)، مجلة المقري للدِّراسات اللغويَّة والنظريَّة والتطبيقيَّة، عدد/ مارس ٢٠٢٠ م.
- حسن إسماعيل عبد الرازق، البلاغة الصافية، (في المعاني، والبيان، والبديع)، المكتبة الأزهريَّة للتراث، القاهرة، مصر، ط١، ٢٠٠٦م.
- رجاء عيد، القول الشعري (منظورات معاصرة)، منشأة المعارف، الإسكندريَّة، مصر، ط١، ١٩٩٥ م.

- سامر بلعابد نيبور، الحِجَاج وأسس بناء الدلالة، مسارات للنشر والتوزيع، الإمارات العربيَّة المتحدة، ط٢، ٢٠١١م.
- السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط١، ٢٠٠٤م.
- شمس الدين ابن قيم الجوزية، الفوائد المشوق إلى علوم القرآن، تح/ جماعة من المختصين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٢م.
- طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٨م.
- عبد القاهر الجرجانيّ، أساس البلاغة في علم البيان، تعليق: محمد رشيد رضا، المكتبة التوفيقيَّة، القاهرة، مصر، بدون سنة نشر.
- عبد الله صولة، في نظريَّة الحِجَاج (دراسة وتطبيقات)، مكتبة مسكلياني للنشر، تونس، ط١، ٢٠١١م.
- عبد المحسن علي حبيب الناصر، إشراقات غراء من خطاب السيدة الزهراء، مركز العين للدِّراسات والبحوث المعاصرة، ط١، ٢٠١٨م.
- علي بن عيسى الإربلي، كشف الغمة في معرفة الأئمة، المجمع العالمي لأهل البيت، ط١، ٢٠١٢ م.
- عمر رضا كحالة، أعلام النساء في عالمي العرب والإسلام، مُؤسَّسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٧م.
- مجد الدين بن الأثير، منال الطالب في شرح طوال الغرائب، تح/ محمود الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط١، ١٩٩٧ م.
- محمد حمودي، الحِجاج واستراتيجيَّة الإقناع عند طه عبد الرحمن (مقاربة أبستمولوجية)، مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم، الجزائر، عد/١٢، ٢٠١٢ م.

- محمد سعد محمد، في علم الدلالة، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، مصر، ط٢، ٢٠٠٧ م.
- المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تح/ يوسف البقاعي، دار صادر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٧٣م.
- مؤيد أل صوينت، بلاغة الحِجَاج في القرآن الكريم، بحثٌ مُقدَّم للمؤتمر العلمي الرابع لكلية التربية/ جامعة واسط، العراق، ٢٠١١م.
- ياقوت الحموي: معجم البلدان– دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٩٥م.

المحتويات

الموضوع	الصفحة
(المَبحثُ الأوّلُ)	١١٤٠
التّعريفُ بالخُطبةِ الفدكيَّةِ ودوافعُها	١١٤٠
(نصُّ الخُطبةِ الفَدَكِيَّةِ لِبنتِ رسولِ الله الزَّهراءِ)	١١٤٤
(المَبحثُ الثَّاني)	١١٥٣
مظاهرُ الحِجاجِ البلاغيّ واللُّغويّ في الخُطبةِ الفدكيةِ	١١٥٣
المَطلبُ الأوَّلُ: الرَّوابطُ البلاغيَّةُ	١١٥٤
المطلَبُ الثَّاني: الرَّوابطُ اللّغويَّةُ:	١١٦٣
(المبحثُ الثَّالثُ)	١١٦٦
الدّلالاتُ المُنبثقةُ عَن النّظمِ اللُّغويّ في الخُطبةِ الفدَكيةِ	١١٦٦
الخاتمةُ١١٧٢	١١٧١
مَصادرُ التَّوثيقِ	١١٧٢